

جميع حقوق الطبع والنشر والتصوير
والاقتباس والترجمة والنقل محفوظة

الطبعة الأولى

جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ - يولية ٢٠٠٧ م

عنوان الكتاب	الشيعة والتشيع (شبهات حول الشيعة)
المؤلف	لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية
الناشر	دار الكتاب الصوفى
عنوان الناشر	١١٤ ش مجلس الشعب - السيدة زينب
رقم التليفون	٠٢/٣٩٠١٠٣٠
رقم الإيداع	٢٠٠٧/٩٨٢٩ م
الترقيم الدولى	٧-٧٥-٥٢٧٣-٩٧٧

سلسلة الفتوحات العزمية

(٣٠)

الشيعة والتشيع فى فكر القادة ورؤية الأمة

شبهات

حول الشيعة

الجزء الأول

لجنة البحوث والدراسات
بالطريقة العزمية

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
الإفتتاحية: كيف يتحد المسلمون؟	٤
تميهـد:	٨
الفصل الأول: الإمامة والنص	١١
نقطة الخلاف عند تناول الإمامة فى المدرستين	١٥
نظرية النص ومبدأ الشورى	٢٢
تخصيص النص	٣٢
الرسول يعمل لتركيـز نظرية النص	٤٨
نظرية النص فى حديث الإمام على	٦٠
الإمام أبى العزائم والإمامة	١٠٦
رأى الصوفية فى الوصية بالإمامة	١١٢
الفصل الثانى: مصحف الإمام على <small>عليه السلام</small>	١١٥

الإفتتاحية

كيف يتحد المسلمون؟

الحمد لله رب العالمين، لا يشغله شأن، ولا يغيره زمان، ولا يحويه مكان، ولا يصفه لسان، ليس لأوليته ابتداء، ولا لأزليته انقضاء، هو الأول لم يزل، والباقي بلا أجل.

والصلاة والسلام على المجتبى من الخلائق، والمختار لشرح الحقائق، والمختص بعقائل الكرامات، والمصطفى لكرائم الرسالات.. سيدنا ومولانا محمد.
اللهم صل وسلم وبارك عليه وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الهادين المهديين، ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد..

من الواضح الغنى عن البيان ما وصلت إليه حالة المسلمين، ولا سيما فى هذه القرون الأخيرة، من الضعف والسقوط والذلة، وتحكم الأجنبي بهم واستعبادهم واستملاك أراضيهم وديارهم، وإن السبب الوحيد هو تفرق كلمة المسلمين وتباغضهم وتعاديتهم، وسعى كل

طائفة منهم لتكفير الأخرى، فإذا اعتقدوا كفرهم لا محالة يسعون في هلاكهم وإبادتهم، وما هو إلا الجهل المطبق والعصبية العمياء، فالجهل يمدهم ويطغيهم، ومكايد الأجنبي المستعبد تشدهم وتغريهم.

وليس المسلمون اليوم سوى طائفتين: السنة والشيعة، وكل المذاهب المختلفة في الإسلام لابد وأن ترجع وتندمج في الأولى أو الثانية، حيث يصح إطلاق اسم الإسلام عليها، فإذا ما كفر أحدهم الآخر فالنتيجة في صالح الأجنبي المستعبد لا محالة.

لذلك رأت لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية أن تحدد المسائل التي اختلف فيها أهل السنة والشيعة، ثم تقوم بعرض وجهة النظر الشيعية بحياد تام وفقاً لوجهة نظر (المجمع العالمي لأهل البيت)، والتي قام بطباعتها مؤسسة الفكر الإسلامي بهولندا، مدعمة بمقارنات مع وجهة نظر أهل السنة، وربما في أحيان كثيرة إضافة رأى الصوفية والإمام أبي العزائم عليه السلام بقصد تقريب الخلاف بين الفريقين العظيمين لتوحيد الكلمة أمام الأجنبي المستعبد.

وقد بدأنا هذه السلسلة من (شبهات حول الشيعة) بنقطة جوهرية في التمييز بين الشيعة الإمامية وغيرهم، وهي

الخلاف في (الخلافة) من حيث إنها نص أو شورى. والحقيقة التي لا نريد إغفالها أن هذه المسألة (مسألة الخلافة) أو بوجه أخص (مسألة الإمامة) هي المائز البارز للإمامية عن غيرهم من فرق المسلمين، ولكنها مع ذلك لا تستلزم نشوء كل هذه الفجوات التي عمقتها الأيام والأحداث، والتي تسببت في إيغال الصدور.

فالإمامة أساساً ماهى إلا نمط أو نوع من الخلافة التي يؤمن بضرورتها وامتدادها المسلمون جميعاً، وإن تطلبت عند القائلين بها بعض الحدود والشروط، ومن بينها العصمة والنسب إلى بيت الرسول، مضافاً إلى لزوم النص على الإمام لا حقاً عن سابق.. الأمر الذي يتنافى مع فكرة الشورى في الخلافة، تلك الفكرة التي لم تطبق عملاً بحدودها المعروفة في أي عهد من العهود الإسلامية.

ونحن نرى أن الحل للخلاف بين الشيعة والسنة في هذه القضية في تبنى وجهة النظر الصوفية بأن الخلافة الظاهرة تختارها الأمة، والإمامة (الخلافة الباطنة) إقامة من الله تعالى لأئمة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله.

والشبهة الثانية: هي شبهة (مصحف الإمام علي عليه السلام)، وسوف يتضح أنها شبهة مختلقة أساساً، ومحملة على الإمامية بهتاناً، لأن مصحف الإمام علي هو نفس

تمهيد

إن تراث أهل البيت عليهم السلام الذى اختزننته مدرستهم، وحفظه من الضياع أتباعهم، يعبر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربي النفوس المستعدة للاعتراف من هذا المعين، وتقدم للأمة الإسلامية كبار العلماء المحتزين لخطى أهل البيت عليهم السلام الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام- منطلقاً من مسؤولياته التى أخذها على عاتقه- للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التى ضبب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتنياً خطى أهل البيت عليهم السلام وأتباع مدرستهم الرشيدة التى حرصت فى الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام فى خط المواجهة وبالمستوى المطلوب فى كل عصر.

إن التجارب التى تختزنها كتب علماء مدرسة أهل

المصحف الذى بين أيدي المسلمين اليوم، وكان لكثير من الصحابة مصاحف خاصة بهم مثل: مصحف ابن مسعود، ومصحف أبى بن كعب، ومصحف أبى موسى الأشعري، ومصحف السيدة عائشة.. وغيرهم.

والواقع أن عنوان الكتاب (شبهات حول الشيعة) قد يوحي بأن الهدف من هذا الكتاب هو محاولة تغليب مذهب على آخر.. وهذا غير مقصود ولا مطلوب لأنه لابد من احترام استقلالية المذاهب وطبيعتها ومواقفها.. لكن المطلوب أن لا تكون عملية الاتباع للمذاهب قائمة على التعصب تجاه المذاهب الأخرى.. أو الجهل بها، أو التهجم عليها.. إنما يظل الأمر فى إطار تعدد الآراء ووجهات النظر دون الإساءة لعلاقة الأخوة والوحدة بين المسلمين.

هذه صرخة لبعث أمة، من نومة الغفلة ورقدة الجهالة، لتوحيد صفوفها، حتى تستعيد مجد سلفها الصالح.. فنسأل الله تعالى أن يجمع أمرنا، ويهدى ضالنا، ويوفقنا لما يحب ويرضى.

لجنة البحوث والدراسات بالطريقة العزمية

البيت عليهم السلام فى هذا المضمار فريدة فى نوعها، لأنها ذات رصيد علمى يحتكم إلى العقل والبرهان ويتجنب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوى الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد جاءت محاولة المجمع العالمى لأهل البيت عليهم السلام لتقدم لطلاب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنية فى باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات- التى أثّرت فى عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيما بدعم من بعض الدوائر الحاكمة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الإنترنت وغيرها- متجنبة الآثار المذمومة، وحريصة على استثارة العقول المفكرة، والنفوس الطالبة للحق، لتتفتح على الحقائق التى تقدمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، فى عصر يتكامل فيه العقول، ويتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

ولا بد أن تشير إلى أن هذه المجموعة من البحوث قد أعدت فى لجنة خاصة من مجموعة من الأفاضل. ونتقدم بالشكل الجزيل لكل هؤلاء، ولأصحاب الفضل والتحقيق لمراجعة كل منهم جملة من هذه البحوث، وإيداء

ملاحظاتهم القيمة عنها.

وكلنا أمل ورجاء بأن نكون قد قدمنا ما استطعنا من جهد أداءً لبعض ما علينا تجاه رسالة ربنا العظيم الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً.

مؤسسة الفكر الإسلامى - هولندا

الفصل الأول

الإمامة والنص

خلق الله الإنسان بطبيعة وتصميم وقابلية تؤهله لأن يؤدي دور الخلافة الإلهية في الأرض، ولا يمكن لأي مخلوق آخر أن يقوم بهذا الدور حتى الملائكة لأنها قد أمرت بالسجود له، وإلى جانب ذلك يمتلك الإنسان بعداً يحول دون رقيه وتطوره وكماله.

وهذا الإنسان بطاقاته السامية من جهة، ونزوعه نحو الانحطاط من جهة أخرى، يكشف عن كونه المخلوق الوحيد الذي يمتلك الإرادة والحرية في أن يختار الفعل الأقوى والخطوة المناسبة لبناء حياته الرغيدة.

ولما أعطى هذا الإنسان تلك القابلية التي منحتة الحركة في مساحات وأبعاد أوسع بحيث تخترق المحسوس وتكشف أيضاً بأن لوجوده هدفاً قد خطته يد القدرة، فلم يخلق عبثاً ولم يترك هماً كما نصّ على ذلك الذكر الحكيم، حيث قال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١).

(١) (المؤمنون: ١١٥).

وليس الإنسان وحده هو يتحرك في هذا الوجود ضمن هدف ومخطط مدروس، بل تشاركه المخلوقات الأخرى في هذه الجهة أيضاً، حتى صرح النص القرآني بأنه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ﴾ (١).

فإذا ثبت أن الخلق كله يسير بحكمة وتدبير بما فيه الإنسان، والكل سائر نحو هدف منشود، وأن لكل شيء هداه فما يا ترى بالتحديد الهدف الذي خلق من أجله الإنسان؟

يحدد القرآن الكريم الغاية التي خلق الإنسان من أجلها بقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٢). فهنا نلاحظ أداة الحصر (إلا) التي تعني أنه ليس لله غرض ولا هدف من خلق الإنسان إلا العبادة. واللام في (لِيَعْبُدُونِ) لام التعليل، فالإنسان مخلوق لعله العبادة ليس إلا.

فإذا كانت الغاية من خلق الإنسان محصورة في العبادة لا غير فما هي العبادة؟ وما هي حقيقتها؟ فإذا كان الهدف والغاية النهائية من خلق الإنسان هو

(١) (الدخان: ٣٨).

(٢) (الذاريات: ٥٦).

مهمة الأنبياء:

ومهمة الأنبياء مع الناس هي تبيان المعارف والقيم والحقائق الموصلة إلى الكمال والتربية الصحيحة عليها. وتقوم النبوة بإيضاح المعلومات التي يمكن للبشر أن يدركها وهو بحاجة إليها، إلا أنه قد لا يتوصل إلى حقيقتها بفعل التربية الفاسدة، أو أن هذه المعلومات تحتاج إلى تجارب طويلة لكي يكتشفها الإنسان مثل السنن الإلهية التي من شأنها أن تفتك بحياة الإنسان، أو السنن الإلهية التي فيما لو اختارها الإنسان سوف تؤدي إلى سعادته وكماله، لكنه ينصرف عنها بفعل نزوعه نحو الماديات.

فيبرز هنا دور النبي ليذكر وينذر، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ (١).

كما يتجلى دور النبي أيضاً وضرورة وجوده باعتباره يمثل القدوة في العمل الصالح، لأنه الإنسان الكامل في سلوكه وأخلاقه وتضحياته، وهذا ما يسمى بدور التزكية، قال تعالى: ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾ (٢).

فإذا كان الهدف من خلق الإنسان هو العبودية المطلقة

(١) (الغاشية: ٢١).

(٢) (الجمعة: ٢).

القرب من الله وعبوديته التي يتكامل بها الإنسان فما هو المحفز والدافع الذي يضمن للإنسان وصوله لغايته وكماله؟

إنّ الإنسان بطبيعته وفطرته يدرك حاجاته التي عن طريقها يستطيع أن يسدّ النقص الحاصل في محتواه، كما أنه يدرك حاجته إلى الوسائل التي توصله إلى كماله فيسعى لطلبها، ولكنه كيف يهتدى إلى كماله؟

من هنا نجد الحكمة الإلهية اقتضت أن تضع بين يدي هذا الإنسان تلك الوسائل والمصايق التي يحصل بواسطتها على المعارف والقيم والتربية التي تأخذ بيده نحو الكمال.

ولما كانت مدركات البشر وحدها عاجزة عن أن تأخذ هذا الإنسان وتهديه إلى سواء السبيل، حتى لو تعاضد مع أخيه الإنسان لأن أقصى ما يمتلكه البشر هو التعاون بحدود مجالي العقل والحس، وهذان المجالان غير كافيين لإدراك الحقائق الموجبة للكمال.

من هنا امتدت يد الغيب لتسدّد حاجة الإنسان هذه وهي أهم الحاجات، فكان الإنسان الأول نبياً مبعوثاً من الله الهادي إلى سواء السبيل.

له سبحانه، والإنسان بطبيعته مجبول على التعلُّق بالوسيلة التي تكفل له الوصول إلى الكمال لأنه يجنح إلى الكمال وحبّه بشكل فطري، ودور النبوة هو إيضاح معالم الطريق وتبيان المعارف الحقة التي تؤدي به إلى الكمال، فما هو الداعي لامتداد الرسالة من خلال الإمامة التي تشترط فيها الشيعة: النص، والعلم الموهوب من الله، والعصمة؟

الإجابة على هذا السؤال وغيره من التساؤلات تدعونا إلى أن نتساءل، ماهى الإمامة فى المنظور الإلهي؟ وماهى مهمتها؟

وبعد أن يتحرر محل النزاع، يمكن أن نجيب على الإشكالات التي ترد إلى الذهن حول الإمامة وشروطها من العلم والعصمة وغيرها من الشروط اللازمة فى الإمام.

نقطة الخلاف

عند تناول الإمامة فى المدرستين

الإمامة والخلافة فى المدرسة السنّية: اتجهت نحو محور واحد تركّز فى أن الإمام والخليفة بعد الرسول ﷺ يعنى هو القائد والزعيم السياسى الذى يتولى إدارة شؤون

النظام الإسلامى بعد وفاة النبي ﷺ وآله. وعلى هذا الأساس لا ترى هذه المدرسة داعياً لأن يكون هذا القائد بنص وتعيين من قبل الله وبيان الرسول ﷺ وآله، بل الأمر متروك للأمة حيث تنصب من تختاره وتجده أهلاً للقيام بهذه المهمة، لأن دور الإمام والخليفة فى نظر هذه المدرسة لا يتعدى مهمة القيادة السياسية وزعامة الأمة فى هذه الحدود، فمن المنطقي أن تكون الطريقة لنصب الخليفة إما وفق نظرية الشورى، أو أهل الحل والعقد أو بالوراثة.

بقى أن نعرف ماهى الشروط التي لابد من توفرها فى هذا الشخص المرشح للخلافة السياسية بعد الرسول ﷺ وآله؟

إن الشروط التي لابد أن تتوفر فى الخليفة المنتخب يمكن التوصل إليها انطلاقاً من نفس الرؤية التي ترى الإمامة والخلافة بعد الرسول زعامة وقيادة سياسية فحسب، وعليه فيكفى أن تتوفر العدالة فى هذا الإنسان من الناحية السلوكية بالمعنى المتداول مع شرط العلمية المتعارفة، ولا يشترط فيه العصمة والعلم الممنوح، فيكفى إذاً أن تتوفر فيه قدرة ترفعه إلى مستوى أداء المسئوليات فى النظام الإسلامى.

ومحصل رأى المدرسة السنية في الإمامة والخلافة هو أنها لا تتعدى كونها قيادة سياسية، وأن شرعية التصدي لها يتم عن طريق الانتخاب والشورى، أو الاستيلاء بالقوة أو الوراثة أو الوصية، كما هو واضح من تطبيقاتها العملية المضطربة بعد الرسول ﷺ، وشرطها العدالة والعلم بالمعنى المتعارف.

ولهذا ذهب البعض يتساءل عن ضرورة وجود إمام غائب، أو ضرورة أن يكون معصوماً، أو ضرورة تعيينه بنص الرسول ﷺ وآله.

أما المدرسة الشيعية: فقد اتجهت في تقويم الإمامة والخلافة بعد الرسول ﷺ إلى أنها مهمة إلهية كمهمة الرسول ومستمرة حتى نهاية الأرض، فاشتترطت العصمة^(١) فيها حتى قبل البلوغ، بالإضافة للعلم غير المكتسب، والنص الذي يمثل القيمة الشرعية للإمام.

ولهذا كانت المدرسة السنية لا ترى لهذه الشروط - التي لا بد من توفرها عند المدرسة الشيعية في الإمام والخليفة - معنى، لا تتسجم مع المسؤولية التي يتكفل

(١) نفوس المعصومين تأبى الانصراف إلى الذنوب، وترفض الخضوع للخطايا والشهوات.

بأدائها الخليفة، فالشروط هنا أوسع وأضخم من مهمة الزعامة السياسية.

هذه هي العقدة ونقطة الخلاف التي تفسر لنا الاضطراب في فهم الإمامة والتشكيك في مسألة العصمة، أو المسوغ لضرورة النص.

وهذا الفهم دفع بالبعض إلى أن يحقق في جذور نظرية النص لينتهي بالنتيجة إلى عدم وجود واقع تاريخي في حياة الأئمة لها.

إن هذه الإثارات حول مفهوم الإمامة والخلافة ونظرية النص والتشكيكات التي تحوم حولها ناشئة من الفهم السني للإمامة.

لكن الصحيح أن الإمامة في ضوء الكتاب والسنة تتعدى هذا الفهم، ولها بُعدٌ يختلف جوهرياً عن الفهم السطحي للإمامة الإلهية بعد النبوة.

فمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تعتقد بأن للأئمة الاثني عشر أدواراً أخرى تستلزم شروطاً أشد وأدق مما هي عليه شروط القيادة السياسية^(١).

(١) راجع: بحث حول الإمامة للسيد كمال الحيدري.

العلاقة بين العصمة والنص

إذا كان دور الإمام هو المرجعية الدينية، وأن مهمته التشريعية تمتد إلى أبعاد مختلفة فى العقائد والأحكام والأخلاق والقيادة، وجبت طاعته ووجب اتباعه والأخذ منه، ولهذا تكون أقوال الإمام المعصوم وأفعاله وتقريراته حجة شرعية منجزة ومعذرة كحجية الرسول ﷺ وآله.

وهذا الدور الإلهي الخطير يستلزم عدة أمور، منها: أن يكون معصوماً كعصمة الرسول وضرورتها فى شخصه فى التلقى والتبليغ والسلوك، ويتضح من هذا أن العصمة بهذا المعنى ليست شرطاً لمهمة القيادة السياسية فقط.

ومهمة الإمامة تستوجب أن يكون الإمام عالماً بما يحتاج إليه الناس فى أمور معاشهم ومعادهم، ولا بد أن يكون أفضل من على وجه الأرض فى زمانه كى يتأتى له أداء مسئولياته.

والشيعة تعتقد بأن الرسول ليس له دور مستقل فى تعيين الخليفة بل يتم نصبه والنص عليه بأمر من الله، لأن الغاية من الإمامة وملاكها الإلهي مرتبط بموضوع ختم النبوة واستمرار الهداية الربانية على طول الخط.

والحكمة من ختم النبوة مرتبطة بتعيين الإمام المعصوم، والإمام هو الذى سيتكفل بتوفير المصالح الضرورية للأمة الإسلامية بعد الرسول ﷺ وآله. إذاً فالإمامة قيمتها عقائدية لا كحكم فقهي فرعي، وهذه النكته هى التى تجعل شروط الإمامة بهذه الضخامة والسعة، وأنها تتجاوز شروط القيادة السياسية.

فإذا كانت مهمة الإمامة تتسع لمهمة أكبر من القيادة السياسية وقد استلزمت تلك الشروط فهذا يستدعى أن يكون التعامل معها والتصديق بها كأصل فى الدين انطلاقاً من ضخامة رسالتها.

قال الشهيد الثانى فى رسائله: الأصل الرابع التصديق بإمامة الأئمة الاثنى عشر (صلوات الله عليهم أجمعين)، وهذا الأصل اعتبرته فى تحقيق الإيمان الطائفة المحقة الإمامية، حتى أنه من ضروريات مذهبهم، دون غيرهم من المخالفين، فإنه عندهم من الفروع (١).

لذا نجد أن أمر تشخيص الإمام وتعيينه خارج حدود صلاحيات البشر وقابلياتهم، ويعجز الانتخاب والترشيح

(١) العقائد الإسلامية ١: ٢٨٢ مركز المصطفى، نقلاً عن رسائل الشهيد

الثانى ٢: ١٤٥.

أن يشخص العصمة ومن الذي يمتلكها، ويعجز الانتخاب أيضاً في أن يتوصل إلى الشخص الذي يمتلك العلم الحضوري الموهوب (اللذني)، وغيرها من القابليات والاستعدادات التي يمتلكها الأئمة (عليهم السلام).

فعدم كون اختيار الإمام من طريق البشر شبيه بأمر النبوة التي يختارها الله ويكشف عن اختياره لها بالوحي والنص.

إن الفرق بين النبي والإمام: هو أن الله يُعرّف النبي بالمعجزة والوحي، والإمام بالمعجزة والنص.

قال الشريف المرتضى في رسائله في باب ما يجب اعتقاده في النبوة: (متي علم الله سبحانه أن لنا في بعض الأفعال مصالح وأطافاً، أو فيها ما هو مفسدة في الدين، والعقل لا يدل عليها، وجب بعثة الرسول لتعريفه، ولا سبيل إلى تصديقه إلا بالمعجزة. وصفة المعجز أن يكون خارقاً للعادة، ومطابقاً لدعوى الرسول ومتعلقاً بها، وأن يكون متعزراً في جنسه أو صفته المخصوصة على الخلق، ويكون من فعله تعالى أو جارياً مجرى فعله تعالى، وإذا وقع موقع التصديق فلا بد من دلالاته على المصدق وإلا كان قبيحاً.

وما جاء عنه في باب ما يجب اعتقاده في الإمامة وما

يتصل به أوجب في الإمام عصمته، لأنه لو لم يكن كذلك لكانت الحاجة إليه فيه، وهذا يتناهى في الرؤساء والانتهاى إلى رئيس معصوم، وواجب أن يكون أفضل من رعيته وأعلم، لقبح تقديم المفضول على الفاضل فيما كان أفضل منه فيه، في العقول. فإذا وجبت عصمته وجب النص من الله تعالى عليه وبطل اختيار الإمامة، لأن العصمة لا طريق للأمام إلى العلم بمن هو عليها^(١).

من هنا نجد أن النص هو أحد أركان الإمامة وفق المنظور الشيعي الذي يكشف بدوره عن تلك الخفايا المعنوية والقابليات الإلهية المودعة عند الإمام، ومن ثم نجد أن النص يفضي إلى تشخيص الخليفة الذي يلي رسول الله ﷺ في مهمته الإلهية وضرورة امتدادها.

نظرية النص ومبدأ الشورى

فإذا كان المنظور الإسلامي للخلافة بعد رسول الله ﷺ يلتزم نظرية النص التي ترى الخلافة بعد الرسول تتسع لأكثر من القيادة السياسية. فإذا ما هو الموقف الإسلامي

(١) العقائد الإسلامية ١: ٢٨١، مركز المصطفى، رسائل الشريف

المرتضى ٣: ١٨.

من مبدأ الشورى الذى التزمه البعض كنظرية للحكم قبال نظرية النصّ، وما علاقة الشورى وقراراتها بالإمامة المنصوص عليها؟

سنتابع هذه المسألة من الناحية التاريخية أولاً، ثم نتعرض إلى ضرورة النصّ على الخليفة من النبى ﷺ وآله.

ثانياً، وبعد ذلك نتناول القيمة الشرعية لقرارات الشورى وعلاقتها بالولاية المنصوص عليها.

ثالثاً، لننتهى بالنتيجة إلى أن الشورى لم تكن نظرية للحكم الإسلامى، وإنما هو مجرد مبدأ ذا قيمة توجيهية يغنى القرارات الإسلامية فى المجالات الحياتية وغيرها، بالوقت نفسه لا تكون تلك القرارات ملزمة للإمام المعصوم. وأنّ الشورى المصاغة فى التراث الإسلامى- غير المذهب الإمامى- ما هى إلا نظرية تبرر الواقع وتحاول أن تضى الشرعية عليه، ويمكن القول بأنّها نظرية تبرير لا نظرية تشريع.

أولاً: الناحية التاريخية

من الثابت أن الإسلام لم يترك الأمة هملًا بلا نظرية للحكم انطلاقاً من أن أمر الدين والدنيا لا يتم إلا بوجود حاكم على رأس الأمة يرشدها ويقودها لما فيه صلاحها

فى حياتها ومعادها.

وعلى هذا الأساس قالوا: إنّ الإسلام ترك للأمة أن تختار لنفسها طريقة الحكم وما تراه الأصح لحفظ نظامها وحفظ الشريعة، فعندئذ لا يُعد إهمالاً.

ولهذا برز اتجاه فى التاريخ الإسلامى يُسند أمر الحكم بالكامل إلى الواقع التاريخى للأمة فى عصر الصحابة.

وهذه المسألة الكبرى فى نظام الدين كيف نجد لها حلاً حين يغفل التشريع بمصدره القرآن والسنة، ويفوض أمرها للأمة، من هنا نسأل: هل هناك قاعدة ثابتة تستند إليها الأمة فى تعيين الخليفة؟ وما مدى شرعية هذه القاعدة؟

والجواب: قالوا هناك ثلاثة وجوه فى تعيين الخليفة:

الوجه الأوّل: اختيار أهل الحل والعقد ويطلق عليه (نظام الشورى).

لكن نظام الشورى هذا لم يتخذ شكلاً واحداً عند الصحابة، لذا فقد فصلوا فيه تبعاً لذلك الاختلاف، فقالوا الشورى على شكلين:

أ- نظام الشورى ابتداءً كما حدث فى بيعة سيدنا أبى بكر وسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنهما.

ب- نظام الشورى بين عدد يعيّنهم الخليفة السابق،

كما صنع سيدنا عمر رضي الله عنه.

الوجه الثاني: العهد: وهو أن ينصّ الخليفة قبل موته على من يخلفه. وقد اتخذ هذا العهد أشكالاً ثلاثة:

أ- أن يعهد الخليفة إلى واحد، كما صنع أبو بكر في عهده إلى عمر رضي الله عنهما.

ب- أن يعهد إلى جماعة يكون الخليفة واحداً منهم، كما صنع عمر في عهده إلى ستة نفر ينتخبون الخليفة القادم من بينهم.

ج- أن يعهد إلى اثنين فأكثر ويرتب فالخليفة فيهم بأن يقول: الخليفة من بعدى فلان، فإذا مات فالخليفة من بعده فلان، وفي هذا النظام تنتقل الخلافة بعده على الترتيب الذي رتبّه، كما عهد سليمان بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز بعده، ثمّ إلى يزيد بن عبد الملك، وكذلك رتبّها هارون في ثلاثة من بنيّه.

الوجه الثالث: القهر والاستيلاء أو الغلبة بالسيف: قال الإمام أحمد: الإمامة لمن غلب^(١). وظاهر أن هذه النظرية بوجوهها إنّما هي نظرية تبرير، لا نظرية تشريع.

(١) الأحكام السلطانية، للفرّاء: ٢٠، ٢٢، ٢٣.

إنّها نظرية تبرير الواقع وإضفاء الشرعية عليه، والدافع الوحيد إلى هذا التبرير هو إعفاء الحكام من تهمة العمل في هذا الأمر الخطير بدون دليل من الشرع، وإعفاؤهم ممّا ترتب على ذلك من نتائج.

ولأجل ذلك ظهر في هذه النظرية من التكلّف والتعسف ما لا يخفى، ومن ذلك:

١- أنّ أياً من هذه الوجوه الثلاثة لا يستند إلى دليل شرعى البتة ولم يعرفه حتى فقهاء الصحابة قبل ظهوره على الواقع.

٢- أن مبدأ الشورى المذكور في الوجه الأوّل والمأخوذ من بيعة أبي بكر، لم يكن قد تحقق في البيعة، وليس لأحد أن يدعى ذلك بعد أن وصفها عمر بأنها فلتة، عن غير مشورة. إلا أن المتأخرين أضفوا عليها صبغة الشورى ليجعلوا منها في ثوبها الجديد الوجه الشرعى الأوّل في اختيار الخليفة، وأضفى عليها البعض صبغة الإجماع^(١).

٣- الخوف من وقوع الفتنة كان العذر المنتخب في تبرير أوّل بيعة لأوّل خليفة حين تمتّ عن غير مشورة،

(١) منهاج السنّة لابن تيمية ٣: ٢١٥، ٢١٧، ٢١٨.

ولم يُنتظر فيها حضور الكثير من كبار المهاجرين والأنصار ممن ينبغي أن يكون في طليعة أهل الحل والعقد.

فالعذر في التعجل هو خوف الاختلاف والفتنة، وهذا ظاهر في نص خطبة سيدنا عمر رضي الله عنه.

لكن الغريب! أن الفتنة قد عادت لتصبح طريقاً شرعياً من طرق تعيين الخليفة في الوجه الثالث حيث يرون القهر والاستيلاء والتغلب بالسيف طريقاً إلى الخلافة، والمتغلب دائماً هو الخليفة الشرعي الواجب الطاعة، وما يزال الطريق مفتوحاً أمام كل طامع، وهل الفتنة شيء غير هذا؟

ثانياً: النص ضرورة على الخليفة من النبي صلى الله عليه وسلم وآله

قال الفراء في الأحكام السلطانية: لا نزاع في ثبوت حق الخليفة في النص على من يخلفه، ولا شك في نفاذ هذا النص، لأن الإمام أحق بها، فكان اختياره فيها أمضى ولا يتوقف ذلك على رضا أهل الحل والعقد^(١). وإنما صار ذلك للخليفة خوفاً من وقوع الفتنة واضطراب

(١) الأحكام السلطانية، للفراء: ١٠، الأحكام السلطانية، للبعوى: ٢٥، ٢٦.

الأمّة^(١). فمن أجل ذلك كان بعض الصحابة يراجع عمر ويسأله أن ينصّ على من يخلفه^(٢).

ويؤيد ذلك ابن حزم الظاهري فقال: وجدنا عقد الإمامة يصح بوجوه:

أولها وأصحها وأفضلها أن يعهد الإمام الميّت إلى إنسان يختاره إماماً بعد موته، سواء فعل ذلك في صحته أو عند موته، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي بكر، وكما فعل أبو بكر بعمر، وكما فعل سليمان بن عبد الملك بعمر ابن عبد العزيز.

قال: وهذا الوجه الذي نختاره، ونكره غيره، لما في هذا الوجه من اتصال الإمامة، وانتظام أمر الإسلام وأهله، ورفع ما يتخوف من الاختلاف والشغب مما يتوقع في غيره من بقاء الأمّة فوضى، ومن انتشار الأمر وحدوث الأطماع^(٣).

ويرد الإمامية على ذلك: أن النصّ المدعى على أبي بكر لم يثبت، بل لم يدع وجوده أحد، بل تسالمت الأمّة

(١) الفصل ٤: ١٦٩، تاريخ الأمم الإسلامية، للخضري ١: ١٩٦.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٦٥.

(٣) الفصل ٤: ١٦٩.

على عدمه، فمن أراد أن يثبت مثل هذا النصّ على أبي بكر بالخصوص، فعليه أن ينفى حادثة السقيفة جملة وتفصيلاً. وعليه أن يكذب بكل ما ثبت نقله في الصحاح من كلام أبي بكر وعمر وعلي والعباس والزبير في الخلافة. وعليه أن يهدم بعد ذلك كل ما قامت عليه نظرية أهل السنة في الإمامة، فلم تُبنَ هذه النظرية أولاً إلا على أصل واحد، وهو البيعة لأبي بكر بتلك الطريقة التي تمت في السقيفة وبعدها!! فمن تلك الواقعة أولاً جاءت نظرية الشورى بين أهل الحل والعقد. وعليه أن ينفى ما تحقق عندهم من الإجماع (الإجماع على أن النصّ منتفٍ في حق أبي بكر)^(١).

من هنا ساق الغزالي كلاماً موافقاً لهذا الإجماع قوِّض فيه ما بنى عليه ابن حزم قوله.
قال الغزالي متسائلاً: فهلا قلتم إن التصييص واجب من النبي والخليفة كي يقطع ذلك دابر الاختلاف؟
ثم أجاب قائلاً: قلنا إنه لو كان واجباً لنصّ عليه الرسول ﷺ ولم ينصّ هو، ولم ينصّ عمر أيضاً^(٢).

(١) شرح المقاصد ٥: ٢٥٥.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد: ١٥١.

وحيث يواصل ابن حزم عرض نظريته تراه يلغى بالكامل مبدأ الشورى واختيار أهل الحل والعقد، ويسند أمر اختيار الخليفة إلى النصّ! بسبب كونه مقتنعاً بضرورة النصّ، ولكنه أراد نصّاً منسجماً مع الأمر الواقع، وإن لم يسعفه الدليل!!

وإن النصّ لم يختف إلى الأبد في هذه النظرية، والشورى هنا ليست مطلقة العنان، فليس لأهل الحل والعقد أن ينتخبوا من شاءوا بلا قيد، لأن هناك حداً تلتزمه الشورى، وهذا الحد إنما رسمه النصّ الثابت.

قالوا: إن من شرط الإمامة: النسب القرشي، فلا تتعد الإمامة بدونه.. وعللوا ذلك بالنصّ الثابت فيه، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: (الأئمة من قريش).

وقال ﷺ وآله: (قدموا قريشاً ولا تتقدموها) وليس مع هذا النصّ المسلم شبهة لمنازع، ولا قول لمخالف^(١).
واشترطوا لهذا القرشي أن يكون قرشياً من الصميم، من بنى النضر بن كنانة، تصديقاً للنصّ^(٢).

(١) الأحكام السلطانية، للماوردي: ٦.

(٢) الأحكام السلطانية، للفراء: ٢٠، الفصل ٤: ٨٩، مآثر الإنافة ١: ٣٧، وانظر مقدمة ابن خلدون الفصل ٢٦: ٢٤٢ - ٢٤٥.

وقال الإمام أحمد: (لا يكون من غير قریش خليفة)^(١).
واستدلوا على تواتر هذا النصّ بتراجع الأنصار
وتسليمهم الخلافة للمهاجرين القرشيين حين احتجوا عليهم
بهذا النصّ في السقيفة^(٢).

وقال ابن خلدون: بقى الجمهور على القول باشتراطها
- أى القرشيّة- وصحة الخلافة للقرشي ولو كان عاجزاً
عن القيام بأمر المسلمين^(٣).
وهكذا ثبت النصّ الشرعى، وثبت تواتره، وثبت
الإجماع عليه.

وواضح هذا حين تم الانتصار لمبدأ النصّ على مبدأ
الشورى عندما رأى الخليفة الثانى ضرورة النصّ على
من يخلفه.

فدخل النصّ إذاً فى قمة النظام السياسى، رغم أنه
يلغى قاعدة الشورى بالكامل.

ويضاف لذلك أن النصّ النبوى الشريف (الأئمة من
قریش) يهزم مبدأ الشورى أمام السيف! فمن تغلب على

(١) الأحكام السلطانية للفراء: ٢٠.

(٢) المصدر السابق، الفصل ٤: ٨٩.

(٣) الأحكام السلطانية، المقدمة: ٢٤٣.

الأمة وانتزع الخلافة بالسيف وكان قرشياً صحت خلافته،
لأنها لا تخرج عن النصّ المتقدم.

وهكذا لا يعتنى بالشروط الواجب توفرها فى الخليفة
بالاجتهاد والعدل والتقوى، فإذا كان الخليفة قرشياً صحت
خلافته وإن كان ظالماً بل عاجزاً من أمر الخلافة!
إذاً، فالشورى ينبغى أن لا تخرج عن دائرة هذا النصّ
فلا تنتخب إلا قرشياً من الصميم.

تخصيص النص:

يقول الإمامية: وملخص المسألة ثبت لدينا نصّ
صريح صحيح وفاعل فى هذه النظرية وهو الحديث
الشريف: (الأئمة من قریش)، وقد أخرج البخارى ومسلم
وأصحاب السنن والسير بألفاظ مختلفة وهذا هو محصلها.
ولكن هذا النصّ يبقى بحاجة إلى التخصيص وذلك لأمر
منها:

١- إن النصّ المتقدم (الأئمة من قریش) بمفرده لا
يحقق للإمامة الهدف المنشود والذى منه حراسة الدين
والمجتمع، حيث أدرك هذه الحقيقة الصحابة أنفسهم منذ
انتهاء الخلافة الراشدة.

فى صحيح البخارى: لما كان النزاع دائراً بين مروان

ابن الحكم وهو بالشام، وعبد الله بن الزبير وهو بمكة انطلق جماعة إلى الصحابي أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه فقالوا: يا أبا برزة، ألا ترى ما وقع فيه الناس؟ فقال: إني أحتسب عند الله أني أصبحت ساخطاً على أحياء قريش، إن ذلك الذي بالشام والله إن يقاتل إلا على الدنيا، وأن الذي بمكة والله إن يقاتل إلا على الدنيا!!^(١)

٢- وثمة نصوص أخرى صحيحة تضيّق دائرة النص المتقدم، منها: إن النبي حذر من الاغترار بالنسب القرشي وأندر بأن ذلك سيؤدى إلى هلاك الأمة وتشنت أمرها.

جاء فى صحيح البخارى، عنه رضي الله عنه أنه قال: (هلكة أمتي على يد غلطة من قريش)^(٢).

كيف إذا سيتم التوفيق بين النصين (الأئمة من قريش) و (هلكة أمتي على يد غلطة من قريش)؟

لا بد أن يتم ذلك عن طريق التخصيص فيما ورد من الأخبار بحق قريش، وهناك نوعان من التخصيص:

أ- **تخصيص بالسلب**: توجد نصوص صريحة تستثني

(١) صحيح البخارى: الفتن باب ٢٠، ح ٦٦٩٥.

(٢) المصدر السابق، الفتن باب ٣ ح ٦٦٤٩، فتح البارى بشرح صحيح

البخارى ١٣: ٧-٨.

قوماً من قريش فتبعدهم عن دائرة التكريم.

قال ابن حجر الهيثمي فى الحديث المروى بسند حسن أنه رضي الله عنه قال: (شر قبائل العرب: بنو أمية، وبنو حنيفة، وتقيف).

قال: وفى الحديث الصحيح قال الحاكم: على شرط الشيخين عن أبى برزة رضي الله عنه أنه قال: كان أبغض الأحياء أو الناس إلى رسول الله بنى أمية^(١). والذى ورد فى ذم آل الحكم أبى مروان خاصة كثير ومشهور. فهل يصح أن تسند الإمامة إلى شر قبائل العرب وأبغض الناس إلى رسول الله صلوات الله وآله؟!!

فإذا أصبح هؤلاء هم الحكام فى الواقع فعلينا أن نشهد أن هذا الواقع منحرف عن النص، بدلاً من أن نسعى إلى تبريره وإخضاعه للنص.

ب- **تخصيص الإيجاب**: الحديث الذى ميّز قريشاً بالاصطفاء على سائر القبائل لم يقف عند دائرة قريش الكبرى، بل خصّ منها طائفة بعينها فقال: (إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من

(١) تطهير الجنان واللسان: ٣٠.

بنى هاشم) (١).

وهذا تقديم لبني هاشم على سائر قريش.

ساق ابن تيمية هذا الحديث الصحيح، وأضاف قائلاً: (وفي السنن أنه شكاً إليه العباس أن بعض قريش يحقرونهم! فقال ﷺ وآله: (والذى نفسى بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبّوكم الله ولقرايتى) وإذا كانوا أفضل الخلائق فلا ريب أن أعمالهم أفضل الأعمال.. ففاضلهم أفضل من كل فاضل من سائر قبائل قريش والعرب، بل وبني إسرائيل وغيرهم) (٢).

وليس المقام مقام تفضيل وحسب، بل إن قريشاً لا يصحّ لها إيمان ما لم تحب بني هاشم حبّين: لله، ولقراية الرسول.

فهل يصحّ أن تكون قريش كلّها سواء في حقّ التقدم والإمامة، وفيها بنو هاشم الذين رفعهم النصّ إلى أعلى منزلة، وفيها بنو أمية الذين خفضهم النصّ إلى أرى الرتب؟!

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، ح ١.

(٢) رأس الحسين، ابن تيمية : ٢٠٠ - ٢٠١، مطبوع مع استشهاد الحسين للطبرى.

إذا كان الواقع قد آل إلى هذه الحال، فعلينا أن نشهد أنه واقع منحرف عن النصّ، لا أن يسعى إلى تبريره. **وخلاصة لما تقدم:** يبدو بكلّ وضوح أننا قد أخفنا في تحقيق نظرية منسجمة متماسكة في موضوع الإمامة، وأن السبب الحقيقى لهذا الإخفاق هو متابعة الأمر الواقع والسعى لتبريره وجعله مصدراً رئيساً فى وصف النظام السياسى.

إنّ تناقضات الأمر الواقع فى أدواره المتعدّدة قد ظهرت جميعها فى هذه النظرية، ممّا أفقدها قيمتها كنظرية إسلامية فى معالجة واحدة من قضايا الإسلام الكبرى.

فالقول بالنصّ الشرعى لم يقف عند جوهر النصّ، ولا التزم شروطه وحدوده.

والقول بالشورى تفهقر أمام نصّ الخليفة السابق وصلاحيات الشورى، والقهر والاستيلاء، والتغلّب بالسيف.

أما نظام أهل الحلّ والعقد فهو أشدّ غموضاً:

فمرّة يكون أهل الحلّ والعقد رجلاً واحداً نصب نفسه فتابعه اثنان كما فى عقد الزواج، أو تابعه أربعة، أو يكونوا ستّة يعيّنهم الخليفة السابق دون الأمة، بل تطوّر

الأمر عن هذا كثيراً، حتى أن فيلسوفاً مدققاً كابن خلدون قد جعل حاشية الخليفة وبطانته وأقاربه - بصرف النظر عن مدى علمهم واجتهادهم وتقواهم - هم أهل الحل والعقد الذين عارضوا الخليفة المأمون أن ينقل الخلافة إلى عليّ الرضا من بعده^(١)!

والحقيقة التي نرجو أن لا تصدم أحداً أنّ هذا قد ظهر من قبل، في النصف الثاني من خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه، حيث برز على رأس أصحاب الرأي والمشورة رجال من قرابته - بنى أمية - خاصة، لم يكونوا من أولى الفضل والاجتهاد والسابقة في الدين، مع كثرة من اجتمعت فيهم هذه الخصال في ذلك الوقت!

وكان أهل الحل والعقد هؤلاء هم: عبد الله بن عامر، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح^(٢)، وسعيد بن العاص، ومعاوية بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم!

نقل الطبري من طريقين: أنّ عثمان أرسل إلى معاوية

(١) نظرية الإمامة، الدكتور أحمد محمود صبحي: ٢٦.

(٢) وهو الذي ارتدّ مشركاً في عهد الرسول، فهدر الرسول دمه يوم فتح مكة، وأمر بقتله ولو وجد تحت أستار الكعبة! راجع ترجمته في: الاستيعاب، وأسد الغابة، والإصابة.

وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، وسعيد بن العاص، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن عامر، فجمعهم ليشاورهم في أمره، فقال لهم: إنّ لكلّ امرئ وزراء ونصحاء، وإنّكم وزرائي ونصحاى وأهل ثقّتى.. وقد صنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا إلىّ أن أعزل عمّالى، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلىّ ما يحبّون، فاجتهدوا رأيكم وأشيروا علىّ.

فلما أشاروا عليه عمل بما رآه من مجموع مشورتهم؛ فردّهم على أعمالهم، وأمرهم بالتضييق على من قبلهم، وأمرهم بتجمير الناس في البعوث^(١)، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيحوه ويحتاجوا إليه^(٢).

هذه الوجوه المتناقضة كلّها من المستحيل أن تجتمع في نظرية واحدة، فنكون نظرية منسجمة وذات تصوّر واضح ومحدّد ومفهوم.

هذا كلّه، وبقدر ما يثيره من شكوك حول صلاحية هذه النظرية، فإنّه يرجّح الرأى الآخر الذى يذهب إلى اعتماد

(١) أى إرسالهم إلى أطراف البلد بحجّة حماية الحدود، ومنعهم عن العودة إلى أهليهم.

(٢) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٣٤: ٣٣٣/٤ - ٣٣٥.

ثالثاً: القيمة الشرعية لقرارات الشورى وعلاقتها بالولاية المنصوص عليها

إن من أهم المستندات الشرعية التي تعتمد عليها نظرية الشورى هي الآية الكريمة: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

هذه الآية تلزم الإمام الحاكم بوجود الشورى على رأى من يقول: (إن الآية في خطابها للرسول صريحة في الأمر بالشورى والأمر ظاهر بالوجوب، والآية بهذا المعنى ليس أكثر من أن تدعو لاستشارة المسلمين ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ وحيث لا يمكن استشارة المسلمين جميعاً فلا بد من الأخذ بالميسور في هذه الاستشارة وهو استشارة ذوى الرأى والخبرة^(١).

وبهذا المعنى هل أن الشورى مطلوبة بحد نفسها، أو أنها طريق يتحقق بواسطتها غايات أخرى؟
لاشك أن الشورى ليست مطلوبة في حد نفسها ولا هي موضوع مستقل للطلب، وإنما الشورى طريق إلى تحقيق غايات أخرى وأهم هذه الغايات التعرف على وجهات نظر الآخرين وتصوراتهم ومناقشاتهم وأفكارهم. وهذه

(١) تفسير مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازى ٢: ٨٣.

النصّ الشرعى فى تعيين خليفة الرسول. إلى هذه النتيجة أيضاً خلص الدكتور أحمد محمود صبحى وهو يدرس نظرية الإمامة، إذ قال: (أمّا من الناحية الفكرية فلم يقدم أهل السنة نظرية متماسكة فى السياسة تُحدد مفاهيم البيعة والشورى وأهل الحلّ والعقد، فضلاً عن هوة ساحقة تفصل بين النظرية والتطبيق، أو بين ماهو شرعى وبين ما يجرى فى الواقع. لقد ظهرت نظريات أهل السنة فى السياسة فى عصر متأخر بعد أن استقرّ قيام الدولة الإسلامية على الغلبة.. كما جاء أكثرها لمجرد الردّ على الشيعة.. والتمس بعضها استنباط حكم شرعى من أسلوب تولى الخلفاء الثلاثة الأوائل.

وإنّ الهوة الساحقة بين تشريع الفقهاء وبين واقع الخلفاء، فضلاً عن تهافت كثير من هذه الآراء وإخفاقها فى استنباط قاعدة شرعية، هو ما مكن للرأى المعارض - القول بالنصّ - ممثلاً فى حزب الشيعة^(١).

(١) الزيدية: ٣٥ - ٣٧. انظر أيضاً: محمد عبد الكريم عتوم، النظرية السياسية المعاصرة للشيعة الإمامية الاثنى عشرية: ٥٢ فقد انتهى إلى النتيجة ذاتها.

التصورات والأفكار عندما تتوارد من منابع مختلفة وتجتمع في موضع واحد تكون لها قيمة كبيرة في توجيه سياسة الحكم والإدارة والاقتصاد والأمن والحرب وغير ذلك في البلد، وهذا الوجه يتم في غير المعصومين من أولياء الأمور.

إلى هنا قد اتضح الغرض من تشريع الشورى، لكن السؤال عن القيمة الشرعية التي تتمتع بها الشورى، وهل تعتبر النتيجة التي تتمخض عنها الشورى بالإجماع أو بالأكثرية قراراً ملزماً لولى الأمر أم لا؟

يتجه علماء السنة في الإجابة على هذا السؤال على نحو اتجاهين:

الأول: يرى هذا الاتجاه بأن نتيجة الشورى ملزمة لولى الأمر وللنظام بشكل عام.

ومن هؤلاء: الشيخ محمد عبده؛ يقول في تفسير: «وَأُولِي الْأَمْرِ» (النساء: ٥٩) معناه أصحاب أمر الأمة في حكمها، وهو الأمر المشار إليه في قوله تعالى: «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ» (الشورى: ٣٨) ولا يمكن أن يكون شورى بين جميع أفراد الأمة، فتعين أن يكون شورى بين جماعة تمثل الأمة... وما هؤلاء إلا أهل الحل والعقد الذين تكرر ذكرهم، ويضيف: (ويجب على الحكام

الحكم بما يقرره أولو الأمر - أصحاب الشورى - وتنفيذه) (١).

الثاني: يرى هذا الاتجاه بأن قيمة الشورى توجيهية فقط وليس لها قيمة شرعية في إلزام ولى الأمر بالتنفيذ.

ومن هؤلاء: القرطبي، إذ يقول في تفسيره: (والشورى مبنية على اختلاف الآراء، والمستشير ينظر فى ذلك الاختلاف، وينظر أيها أقرب إلى الكتاب والسنة إن أمكنه، فإذا أرشده الله تعالى إلى ما شاء منه عزم عليه وأنفذه متوكلاً عليه) (٢).

أما فقهاء الإمامية فيذهبون إلى الرأى الثانى فى تفسير آية الشورى، يقول الشيخ محمد جواد البلاغى: «وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ» واستصلحهم، واستتمل قلوبهم بالمشاورة، لا لأنهم يفيدونه سداداً وعلماً بالصالح، كيف وأن الله مسدده «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ» (النجم: ٣- ٤) فإذا عزم على ما أمرك الله بنور النبوة وسددك فيه «فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ» (آل عمران:

(١) تفسير المنار ٥: ١٨٧-١٨٨.

(٢) الشورى فى ظل نظام الحكم الإسلامى لعبد الرحمن عبد الخالق:

١١٣-١١٤.

(١٥٩)(١).

فالشورى فى نظر مدرسة أهل البيت تتلخص فى أن رأى المسلمين ليس ملزماً لرسول الله ﷺ حيث قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (آل عمران: ١٥٩)، إذا فالقيام بالعمل يكون على أساس عزم الرسول ﷺ وليس ما يرتئيه المؤمنون.

ثم إن مشاوراته ﷺ كانت فى مقام استجلاء رأى المسلمين فى كيفية تنفيذ الأحكام الإسلامية، وليست فى مقام استنباط الحكم الشرعى بالتشاور؛ أضف إلى كل ذلك أن الله تعالى قال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (٢).

إذا رجحان المشاورة ينحصر بمورد لم يقض الله ورسوله فيه أمراً، وأمّا فى ما قضى الله ورسوله فيه أمراً تكون المشاورة حينئذ معصية لله ولرسوله وضلالاً

(١) آلاء الرحمن: ٣٦٤. وسائر علماء الشيعة على هذا المنوال أو قريب منه كالفيض الكاشانى فى تفسير الصافى ١: ٣١٠، والسيد شبر فى تفسيره: ١٦٥.

(٢) (الأحزاب: ٣٦).

مبيناً(١).

وعليه، فالشورى ذات قيمة توجيهية تغنى القرارات الإسلامية فى كل المجالات الحياتية وغيرها، وهى غير ملزمة للإمام المعصوم، لأنها لا تشترط حكماً قبيل قول المعصوم وفعله وتقريره، وتتنصر فى المورد الذى لم يقض الله ورسوله فيه أمراً.

وأما من الناحية التاريخية كما ذكرنا لم تكن الشورى كنظام سياسى شرعى للحكم، لأنها جاءت كتبرير للأمر الواقع والسعى لجعله مصدراً رئيساً فى وصف النظام السياسى الحاكم آنذاك، وأن الخلافة لا تتم إلاّ بنص من النبى للخليفة الذى بعده.

العلاقة بين البيعة والنص

البيعة تكريم للإنسان لكى يقرر مصيره فى الدعوة إلى الله والجهاد فى سبيله أو شئون الحكم والسياسة. والإسلام بطبيعته لا يريد أن تتقرر حياة المسلمين بمعزل عن إرادتهم ووعيمهم وقرارهم. والطاعة هنا تبرز أهميتها فى تنفيذ مهمات الدعوة

(١) معالم المدرستين ١: ٥٧٦. وولاية الأمر للشيخ الأصفى: ١٦٧.

والتبليغ ومهمات الدولة ومهمات الجهاد، وتتأكد الطاعة للإمام المعصوم في أقسامها الثلاثة عبر البيعة. ولا يعنى أن الطاعة للإمام المعصوم تسقط عند عدم البيعة له.

فإذا كانت البيعة وفق هذا المنظار تؤكد وتوثق الإمامة والطاعة له بعد افتراض ثبوت الإمامة، فهل يمكن لنا أن نقول: إن البيعة شرط لصحة طاعة الإمام، أو أنها شرط لوجوب الطاعة وانعقاد الإمامة وبدون البيعة لا إمامة، كما أنه لا صحة للطاعة أيضاً؟

فنقول: إن البيعة تأكيد وتوثيق للالتزام بولاية وسيادة ولى الأمر وليست إنشاءً للولاية أو شرطاً لصحة الطاعة. فالطاعة والإمامة لا تتوقف على البيعة لمن ثبتت له الولاية بالنص.

ولهذا نجد الرسول ﷺ قد عمل بالبيعة أثناء حياته انطلاقاً من هذا المفهوم، كما هو واضح في بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الثانية^(١) وبيعة الغدير^(٢).

هذه الصور للبيعة قد تمت مع رسول الله ﷺ مع أن

(١) هاتان البيعتان متفق عليهما عند السنة والشيعة.

(٢) هذه البيعة ثابتة عند الشيعة.

الولاية ثابتة له قبل حدوثها، وبيعة المسلمين أو عدم بيعتهم له ﷺ في الاستجابة لدعوته ﷺ أو الجهاد والإمرة، لم تغير من حق الرسول على الأمة في الطاعة في أمر الدعوة والجهاد والإمرة.

يقول الإمامية: وكذلك الإمرة كانت ثابتة لعلى ﷺ بعد رسول الله ﷺ في غدير خم. فلم تثبت هذه الإمرة يومئذ ببيعة المسلمين له وإن كان رسول الله ﷺ قد أمرهم بذلك، فإن هذه البيعة لا تزيد قيمتها من الناحية التشريعية على تأكيد هذه الولاية والطاعة لها. وكون الإمامة حاصلة بالعهد، قد مضى عليه أهل السنة أيضاً.

قالوا: إذا عهد الخليفة إلى آخر بالخلافة بعده، فإن بيعته منعقدة، وإن رضى الأمة بها غير معتبر، ودليل ذلك أن بيعة الصديق لعمر لم تتوقف على رضى بقية الصحابة^(١).

هذا، مع أننا لا نجد بين أبى بكر وعمر بيعة، وإنما هو عهد بالخلافة لا غير.

فعهد النبى ﷺ أولى أن يتبع، بلا مسوغ للخلاف، فهو

(١) مآثر الأنفاة ١: ٥٢، الأحكام السلطانية، للماوردى: ١٠، والأحكام

السلطانية، للفراء: ٢٥، ٢٦.

يوجب طاعته وحرمة التخلف عن بيعته.

الرسول يعمل لتركيز نظرية النص

ولو دققنا النظر من الناحية التاريخية ولاحظنا خطوات الرسول ﷺ في تربية الأمة وتنقيفها حول أخطر مسألة إلهية وهي الخلافة لوجدناه قد ركز في ذهنها نظرية النص دون الشورى، ولا يوجد أى نشاط يذكر للرسول ﷺ في تنقيف الأمة وتربيتها على غير هذه النظرية ابتداءً من نزول قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤). وحتى نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (المائدة: ٦٧).

فقد جاء عن ابن عباس عن الإمام علي التليلى أنه قال: (لما نزلت هذه الآية ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ على رسول الله ﷺ فقال لى: يا على إن الله أمرنى أن أنذر عشيرتى الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً، وعرفت أنى متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمت عليه حتى جاءنى جبرائيل، فقال: يا محمد إنك إلا تفعل ما تؤمر به يعذبك ربك، فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملاً لنا عساً من لبن، ثم اجمع لى بنى عبد

ماض وبه تحققت الخلافة لعلي التليلى بعد الرسول ﷺ مباشرة سواء بايعته الأمة على الطاعة أو لم تبايع، فالبيعة إنما تنشئ عقد الطاعة وتسليم مقاليد الحكم والإدارة؛ فهذا لا يتم إلا بالبيعة وقد عرضت على علي من قبل العباس، فرفض أن تكون إلا جهرة على الملأ وعامة فى المسجد النبوى الشريف، ثم لما أته بالبيعة فبايع الناس على ذلك، فكانت البيعة على الحكم، وهكذا كان الأمر مع الإمام الحسن التليلى وحين حُبست البيعة عن الأئمة الذين اختارهم الله ورسوله فقد حيل بينهم وبين ممارسة الحكم والإدارة العامة، دون أن يسلبهم ذلك حق الإمامة الثابت لهم، شأنهم فى ذلك شأن الكثير من الأنبياء الذين عصتهم أممهم وحالت بينهم وبين ممارسة دورهم الحقيقى فى القيادة والإرشاد والتوجيه، دون أن يسلبهم ذلك منزلتهم التى أنزلهم الله تعالى بها^(١).

إذا فقيمة البيعة بحضور الإمام المعصوم لا تزيد على كونها تأكيداً وتوثيقاً ممن ثبتت الولاية له بالنص.

كما أن البيعة لا تنشئ ولاية قبال الولاية للشخص المنصوص عليه كالرسول أو الإمام، والنص للإمام

(١) تاريخ الإسلام الثقافى والسياسى، صائب عبد الحميد: ٢٥٩ - ٢٦٠.

المطلب حتى أكلهم وأبلغهم ما أمرت به، ففعلت ما أمرني به، ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه، فيهم أعمامه أبو طالب والحزمة والعباس وأبو لهب) إلى أن قال: (فتكلم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب إني والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ما جئتم به، إني قد جئتم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوك إليه، فأيكم يوازنني على هذا الأمر على أن يكون أخى ووصيى وخليفتي فيكم؟ - قال الإمام على ﷺ - فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت وإني لأحدثهم سنناً، وأرمصهم عيناً... أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثم قال ﷺ إن هذا أخى ووصيى وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا. قال على ﷺ: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(١).)

هكذا أخذ رسول الله ﷺ يهيئ الأمة بدءاً بعشيرته

(١) تاريخ الطبرى ٣: ٢١٨-٢١٩. وانظر دراسة مصادر الحديث فى موسوعة التاريخ الإسلامى ١: ٤٠٧-٤٢٧. وفى كتاب ما نزل من القرآن فى على لأبى نعيم - جمع الشيخ المحمودى: ١٥٥، وتفسير الخازن ٣: ٣٧١.

الأقربين ويوجهها نحو خلافة على ﷺ من بعده، ناصاً على الأخوة والوصاية والخلافة ولزوم الانقياد له. وكان النبى ﷺ يسلب الضوء على معانى الآيات القرآنية التى كانت تنزل فى حقّه ﷺ خصوصاً الآيات التى لها صلة بموقع الخلافة والإمامة.

ذكر الزمخشري فى تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ (١): إن هذه الآية نزلت فى الإمام على ﷺ حين سأله سائل، وهو راعى فى صلته فطرح له خاتمه^(٢).

ولإزالة الالتباس، وقطعاً لدابر أى تأويل حول المراد بالولى وتشخيصه فى مثل هذه الموارد صرح النبى ﷺ فى أكثر من مناسبة قائلاً: (إنّ علياً منى وأنا منه، وهو ولى كل مؤمن من بعدى)^(٣).

ولتأكيد ولاية الإمام على ﷺ، ودوره المهم فى

(١) (المائدة: ٥٥).

(٢) الكشاف للزمخشري ١: ٦٤٩.

(٣) سنن الترمذى ٥: ٥٩١، باب فضائل الإمام على ﷺ، والنتاج الجامع للأصول ٣: ٣٣٥.

تبيين معالم الرسالة الإسلامية وتحقيق أهدافها من خلال ممارسة القيادة لتطبيق أحكامها وصيانتها من كل ما يمكن أن يشوبها من تشويه وتحريف بعد الرسول ﷺ قال رسول الله ﷺ: (على منى وأنا من على ولا يؤدى عنى إلا أنا أو على...) (١).

ورسّخ النبي ﷺ هذا المفهوم عملياً جهاراً نهاراً فى قصة تبليغ سورة براءة، وقد أخرج هذه الرواية الإمام أحمد بن حنبل فى مسنده عن سيدنا أبى بكر رضى الله عنه حين قال: (إنّ النبي بعثه ببراءة إلى أهل مكة، فسار ثلاثاً ثم قال لعلى: إحققه، فردّ على أبى بكر وبلغها أنت، فلما قدم أبو بكر على رسول الله ﷺ قال: يا رسول الله حدث فى شئ؟! قال ﷺ وآله: (ما حدث فىك إلا خير، ولكن أمرت أن لا يبلغه إلا أنا أو رجل منى...) (٢).

وفى الكشاف: روى أن أبى بكر لما كان ببعض الطريق - أى لتبليغ سورة براءة - هبط جبرائيل عليه السلام،

(١) سنن الترمذى ٥: ٥٩٤، باب فضائل الإمام على عليه السلام، والتاج الجامع للأصول ٣: ٣٣٥.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١: ٣. وراجع سنن الترمذى ٥: ٥٩٤، وتفسير الكشاف للزمخشري ٢: ٢٤٣.

فقال: (يا محمد لا يبلغن رسالتك إلا رجل منك، فأرسل علياً...) (١).

وأخيراً ختم القرآن الكريم هذا الموضوع الحيوى والمهم - وهو عملية الإعداد الفكرى والتربوى على كيفية التعامل مع موضوع الخلافة والولاية بعد رسول الله ﷺ وآله - فى آخر ما نزل منه فى آية التبليغ، ثم فى آية كمال الدين بعد قصة غدير خم المشهورة، بحيث لم يبق هناك عذرٌ لمعتذر.

غدير خم:

وقصة الغدير - كما تناقلها الرواة مع بعض الاختلاف - هى كما يأتى:

لما رجع رسول الله ﷺ وآله من حجة الوداع، نزل عليه الوحي مُشَدِّداً: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (٢). فحطّ الركب عند غدير خم، وجمع الناس فى

(١) الكشاف ٢: ٢٤٣.

(٢) (المائدة: ٦٧)، قال الواحدى فى أسباب النزول: ١٣٥، نزلت فى غدير خم.

منتصف النهار، والحرُّ شديد، وخطبَ فيهم النبي ﷺ وآله قائلاً: (كأنى قد دُعيت فأجبتُ وإنى تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله وعترتي - وفي رواية مسلم^(١) وأهل بيتي - فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض...). ثم قال: (إن الله مولاي، وأنا مولى كل مؤمن)، ثم أخذ بيد علي فقال: (من كنت مولاه فهذا وليه - أو فهذا مولاه)^(٢) - اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، واخذل من خذله، وانصر من نصره^(٣) .. وأدر الحق معه حيث دار...^(٤).

وقد أعقبَ هذا الحدث الكبير نزول الوحي مرة أخرى بقول تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ

(١) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٤.

(٢) سنن الترمذى ٥: ٥٩١. والتاج الجامع للأصول ٣: ٣٣٣، أخرجه عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ وآله.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤: ٢٨١، ٣٦٨، وسنن ابن ماجه، المقدمة ١ باب ١١. وتفسير ابن كثير ١: ٢٢. والبداية والنهاية، لابن كثير أخرجه بعدة طرق ٧: ٣٦٠ - ٣٦١.

(٤) التاج الجامع للأصول ٣: ٣٣٧، رواه مستقلاً (رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار...).

نِعْمَتِي وَرَضِيَتْ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا^(١). وقد ورد في بعض النصوص المروية أن الرسول ﷺ وآله قال بعد نزول هذه الآية في ذلك اليوم المشهود وهو اليوم الثامن عشر من ذى الحجة^(٢) يوم الغدير قال: (الله أكبر، الحمد لله على إكمال الدين وإتمام النعمة ورضا الرب برسالتى وبالولاية لعلي بعدى)^(٣)..^(٤).

(١) (المائدة: ٣)، عند أغلب أهل السنة أنها نزلت يوم عرفة فى حجة الوداع.

(٢) الإتيقان، للسيوطى ١: ٧٥، فى رواية نزول الآية يوم الغدير وأنه يوم الثامن عشر من ذى الحجة. وأسباب النزول، للواحدي: ١٣٥.

(٣) مناقب أمير المؤمنين، للحافظ محمد بن سليمان الكوفى القاضى ١: ١١٩.

(٤) رد الحافظ ابن حجر فى الصواعق المحرقة على معنى الولاية بأنه الإمام أو الخليفة فقال:

أولاً: كون الولي بمعنى الإمام لم يعهد لغة ولا شرعاً.

وسبب ذلك الحديث ما نقله الحافظ شمس الدين الجزرى عن ابن اسحق أن سيدنا علياً تكلم فيه بعض من كان معه فى اليمن فلما قضى ﷺ حجه خطبها تنبيهاً على قدره، ورداً على من تكلم فيه كـ (بريدة) لما فى البخارى أنه كان يبغضه.

نصّ القرآن على النبي ﷺ وآله إن لم يبلغ ذلك - الذى بلغه عن أمر الخلافة والولاية من بعده - لما بلغ رسالة ربّه التى كان جاهداً على تبليغها خلال أكثر من عقدين من عمره المبارك.

الطرق المحتملة والواقع التاريخي

وقد ناقش الشهيد الصدر رحمته هذه المسألة فى واقعها التاريخي ضمن عدة احتمالات قد تعترض الذهن بخصوصها.

منها: احتمال أن الرسول قد سلك طريق الإهمال - أى أن الرسول لم يتحرك أصلاً لإبلاغ المسلمين وتربيتهم على أمر الولاية والقيادة من بعده - وهذا الافتراض باطل لأنه يتعارض مع مقام النبوة المحيط بكل ما يرتبط بالرسالة، ويتعارض مع النصوص التى تكلمت عن اهتمام الرسول بأمر الأمة من بعده فى حياته وقبيل وفاته وفى اللحظات الأخيرة من حياته المباركة بالخصوص^(١).

(١) راجع قصة يوم الدار وإنذار العشيرة، وموقف الرسول فى غزوة تبوك، وسورة براءة، وحجة الوداع ويوم الخميس حين أراد النبي ﷺ وآله أن يكتب الوصية قبيل وفاته، فى صحيح البخارى وغيره من الصحاح والمسانيد.

وفى رواية لأحمد: (فلقية عمر بن الخطاب - أى لقي الإمام علياً - بعد ذلك، فقال له: هنيئاً يا ابن أبى طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة ...) (١).

ولا نجد فى حياة الرسول ﷺ وآله جهداً آخر يذكر قد استهدفه رسول الله ﷺ وآله فى تثبيت مسألة الخلافة من بعده غير نظرية النص التى تعنى فى محتواها الشرعى أكبر من كونها زعامة وقيادة سياسية، وإنما هى هداية إلهية تتكفل تحقيق ما تريده رسالة النبي ﷺ وآله. حيث

والغرض من التنصيص على موالاته اجتناب بغضه، لأن التنصيص عليه أوفى بمزيد شرفه، وصدوره بـ (أست أولى بكم من أنفسكم ثلاثاً) ليكون أبعث على قبولهم، وكذا بالدعاء لأجل ذلك أيضاً.

ثانياً: سلمنا أنه أولى لكن لا نسلم أن المراد أنه الأولى بالإمامة بل بالاتباع والقرب منه فهو كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ (آل عمران: ٦٨)، ولا قاطع ولا ظاهر على نفي هذا الاحتمال بل هو الواقع إذ هو ما فهمه أبو بكر وعمر - وناهيك بهما من الحديث - فإنهما لما سمعاه قالوا له: أمسيت يا ابن أبى طالب مولى كل مؤمن ومؤمنة (أخرجه الدارقطنى).

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ٤: ٢٨١، وقد أشهد على جمعا من الناس، فشهد له ثلاثون أنهم سمعوا هذا الحديث من رسول الله. والبدائية والنهاية، لابن كثير ٧: ٣٦٠.

كما ناقش الشهيد الصدر الطريق الثانى - وهو افتراض الشورى - بقوله: إن الوضع العام الثابت عن الرسول وجيل المهاجرين والأنصار ينفى فرضية أن النبى ﷺ وآله قد انتهج هذا الطريق.

إذ لو كان النبى ﷺ وآله قد أسند الأمر إلى جيل المهاجرين والأنصار دون حصره بأهل بيته (عليهم السلام) لكان من أبده الأشياء التى يتطلبها هذا الموقف هو أن يقوم الرسول ﷺ وآله بعملية توعية للأمة على نظام الشورى وتفصيله وإعداد المجتمع الإسلامى لتقبل هذا النظام.

ولو كان النبى ﷺ وآله قد قام بتلك التوعية لكان من الطبيعى أن تنعكس فى الأحاديث المأثورة عن النبى ﷺ وآله، وفى ذهنية جيل المهاجرين والأنصار، مع أننا لا نجد فى الأحاديث الواردة عن النبى ﷺ وآله أى صورة تشريعية محددة لنظام الشورى.

وأما ذهنية المهاجرين والأنصار فلا نجد فيها ملامح أو انعكاسات كاشفة عن توعية من هذا القبيل، فإنّ هذا الجيل صدر عن اتجاهين:

أحدهما: الاتجاه الذى تزعمه أهل البيت (عليهم السلام) وكان يؤمن بالوصية.

والآخر: الاتجاه الذى مثّله السقيفة وخط الخلافة الذى قام فعلاً بعد وفاة الرسول ﷺ وآله.

وكل الأرقام والشواهد فى سيرة أصحاب هذا الاتجاه تدل بصورة لا تقبل الشك، على أنه لم يكن يؤمن بالشورى، إذ عهد سيدنا أبو بكر ﷺ حين اشتد به المرض إلى سيدنا عمر ﷺ ولم يستشر أحداً وولاه على الأمة دون مشورة المسلمين أو أهل الحل والعقد منهم، وسار عمر على المنهج نفسه حين عين ستة يختارون من بينهم واحداً وكان يقول: (لو كان سالم حياً ما جعلتها شورى). وهذا تصريح منه بعدم الإيمان بمبدأ الشورى (١).

ولو كان النبى ﷺ وآله قد قرر أن يجعل من جيل المهاجرين والأنصار قيماً على الدعوة من بعده، لتحتم عليه أن يعبئ هذا الجيل تعبئة رسالية وفكرية واسعة تجعله قادراً على مواجهة المشكلات الفكرية التى تواجهها الدعوة فى حالة انفتاحها على شعوب متعددة وأراضٍ جديدة.

ولكننا لا نجد أثراً لذلك الإعداد، والمعروف عن

(١) تاريخ الطبرى ٣: ٢٩٢.

الصحابة أنهم كانوا يتحاشون من ابتداء النبي ﷺ وآله بالسؤال، بل أمسكوا عن تدوين آثار الرسول ﷺ وآله وسنته على الرغم من أنها المصدر الثاني من مصادر الإسلام في مجال التشريع، مع أن التدوين هو الأسلوب الوحيد لحفظها.

وقد أثبتت الأحداث بعد وفاة النبي ﷺ وآله أن جيل المهاجرين والأنصار لم يكن يملك أى تعليمات محددة عن كثير من المشاكل الكبيرة، حتى أن المساحة الهائلة من الأرض التى امتد إليها الفتح الإسلامى لم يكن لدى الخليفة والوسط الذى يسنده أى تصور محدد عن حكمها الشرعى، وعمّا إذا كانت تقسم بين المقاتلين أو تجعل وفقاً على المسلمين عموماً، بل اختلفوا فى عدد التكبيرات فى صلاة الميت فبعضهم كان يقول: سمعت رسول الله ﷺ وآله يكبر خمساً، وآخر يقول: سمعته يكبر أربعاً.

وهكذا اتضح أن النبي ﷺ وآله لم يسلك الطريق الثانى أيضاً. وأن إسناد القيادة والقيومة إلى الأمة كان إجراءً مبكراً وقبل وقته الطبيعى.

فلم يبق إذاً إلا الطريق الثالث، وهو أن النبي ﷺ وآله قد أعدّ بأمر الله تعالى علياً ﷺ وعينه قيماً على الرسالة والأمة، باعتباره المرشح الطبيعى لهذه القيومة، لعمق

وجوده فى حركة الرسالة واستيعابه لها وقدرته على الإشراف على حركتها بعد الرسول ﷺ وآله كما أثبتت الأحداث التاريخية ذلك خلال ثلاثة عقود من عمره المبارك بعد الرسول ﷺ وآله باعتراف المؤرخين.

وليس ما تواتر عن النبي ﷺ وآله، من النصوص فى أهل بيته (عليهم السلام) وفى على إلا تعبيراً عن سلوكه ﷺ وآله للطريق الثالث الذى كانت تفرضه وتدل عليه قبل ذلك طبيعة الأشياء^(١).

نظرية النصّ فى حديث الإمام على وأهل البيت (عليهم السلام)

واضح جداً فى قراءة تلك الحقبة من التاريخ أن علياً ﷺ هو أكثر من تبنى إظهار النصوص والإرشادات الدالة على ترشيحه لخلافة الرسول ﷺ وآله، أو النصّ عليه بالاسم. وصحة نسبة هذه الكلمات إليه قد فرغ منها أصحاب التحقيق حين تجردوا عن الأهواء، وسكن إليها أكثر من خمسين علماً من شراح كلماته، ودافعوا عنها

(١) نشأة التشيع والشيعة: ٦٣ و ٦٤.

دفاعاً معززاً بالبراهين الباعثة على الاطمئنان (١).

على ﷺ هو الذى أعاد إلى الأذهان أحاديث نبويّة تبرز حقّه بالخلافة:

١- فقد جمع الناس أيام خلافته فخطبهم خطبته المنقولة بالتواتر، يناشد فيها أصحاب رسول الله ﷺ وآله: مَنْ سمع منهم رسول الله بغدير خمّ يخطب ويقول:

(من كنت مولاه فعلىّ مولاه) لما قام فشهد (٢).

٢- وعلى هو الذى أعاد نشر حديث آخر، إذ أخبر النبى أن من أصحابه من يقا تل بعده على تأويل القرآن كما قاتل هو ﷺ وآله على تنزي له، فتمنى أبو بكر أن يكون هو ذلك الرجل، فلم يصدق النبى أمنيته، بل قال له: (لا)! فتمنى ذلك عمر لنفسه فلم يكن أحسن حظاً من أبى بكر، ثم قطع النبى الأمانى كلها حين أخبرهم أنه على، لا

(١) شرح نهج البلاغة، صبحى الصالح: ١٢، ١٨، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ١: ٨، وابن أبى الحديد ١٠: ١٢٧-١٢٩، والمسعودى، مروج الذهب ٢: ٤٣١. طبعة دار المعرفة.

(٢) مسند أحمد ١: ٨٤ و ٨٨ و ١٨١، والبداية والنهاية ٥: ٢٢٩ و ٢٣٢ و ٧: ٣٨٣، ٣٨٥ من نحو عشرين طريقاً.

غير (١)!

هذه الأحاديث وغيرها وإن رويت عن غيره، إلا أن روايتها عنه امتازت بكونها خطبة على جمهور الناس، لا حديثاً لواحد أو لبضعة نفر، وهذا أبلغ فى التأكيد على حقّه الذى أيقن به، وأيقن بأن كثيراً من الصحابة كانوا يعرفونه ولا يجهلونّه.

٣- وقد ذكر عنه أكثر من هذا بكثير فى يوم الشورى أو بعدها، لكن اختلفوا فى تفصيله وفى إسناده أيضاً، وإن كان قد ثبت عندهم ذلك بالجملة، وأقل ما ذكر من مناشدته تلك ما أخرج ابن عبد البر، قال على لأصحاب الشورى: (أنشدكم الله، هل فيكم أحد أخى رسول الله بينه وبينه، إذ أخى بين المسلمين غيرى؟).

وقال ابن عبد البر بعده: رويانا من وجوه عن على ﷺ أنه كان يقول: (أنا عبد الله وأخو رسول الله، لا يقولها أحد غيرى إلا كذاب) (٢).

ورواها فى كنز العمال حديثاً طويلاً عن أبى الطفيل

(١) سنن الترمذى ٥: ٣٧١٥، السنن الكبرى للنسائى ٥: ح ٨٤١٦، وقد تقدّم.

(٢) الاستيعاب ٣: ٣٥.

أنه سمع علياً يوم الشورى يقول: ... الحديث^(١)، وما أخرج به ابن عبد البر قطعة منه، لكن إسناد كنز العمال فيه جهالة^(٢)، وقد دار حوله جدل، فقيل: رواه زافر عن رجل، فالرجل مجهول، وزافر لم يتابع عليه، وأنكره بعضهم لأجل متنه، ولا يعتد بهذا الإنكار لأنه مبنى على فهم لا أصل له يصور البيعة لأبي بكر على أنها كانت إجماعاً أو شبه إجماع، وما خالف هذا التصور فهو عنده منكر، وهذا فرط خيال كما هو ثابت.

وأما الإسناد فقد توبع عليه زافر كما في الإسناد الذي أورده ابن عبد البر في الاستيعاب^(٣)، وقد قال ابن حجر العسقلاني: إن زافراً لم يثبتهم بكذب، وأنه إذا توبع على حديث كان حسناً^(٤).

وفي أول هذا الحديث، قال أبو الطفيل: كنت على

(١) كنز العمال ٥: ٧٢٤ ح ١٤٢٤٣.

(٢) زافر، عن رجل، عن الحارث بن محمد، عن أبي الطفيل.

(٣) عبد الوارث، حدثنا قاسم، حدثنا أحمد بن زهير، حدثنا عمرو بن حماد القتاد، حدثنا إسحاق بن إبراهيم الأزدي، عن معروف ابن خربوذ، عن زياد بن المنذر، عن سعيد بن محمد الأزدي، عن أبي الطفيل.

(٤) انظر: كنز العمال ٥: ٧٢٦-٧٢٧.

الباب يوم الشورى فارتفعت الأصوات بينهم، فسمعت علياً يقول: (بايع الناس لأبي بكر، وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحق به منه فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم تابع الناس عمر وأنا والله أولى بالأمر منه، وأحق به منه، فسمعت وأطعت مخافة أن يرجع الناس كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض بالسيف، ثم أنتم تريدون أن تبايعوا عثمان! إذا أسمع وأطيع).

ثم ذكر أمر الشورى وشرح يحصى عليهم من فضائله وخصائصه التي امتاز بها عليهم، وكانت أولها القطعة التي رواها ابن عبد البر في المؤاخاة^(١). ولهذا الكلام ما يشهد له أيضاً مما سيأتي في فقرات لاحقة.

٤- وعلى جدد التذكير أيضاً بما يبرز حقه، حين ذكر الناس بقصة أخذه سورة براءة من أبي بكر! روى النسائي بإسناد صحيح عن علي عليه السلام: أن

(١) انظر خبر المناشدة هذه في: الصواعق المحرقة، باب ١١، آية ٩، والمناقب للخوارزمي: ٢١٣، عن أبي ذر، وفيه أنها بعد الشورى حين عزموا على مبايعة عثمان.

رسول الله ﷺ بعث ببراءة إلى أهل مكة مع أبي بكر، ثم أتبعه بعلى فقال له: (خذ الكتاب فامض به إلى أهل مكة قال: فلحقته فأخذت الكتاب منه، فانصرف أبو بكر وهو كئيب، فقال: يا رسول الله! أنزل في شيء؟ قال: (لا، إنى أمرت أن أبلغه أنا أو رجل من أهل بيتي)(١). وفي كل واحد من هذه الأحاديث ردّ على من يقول إنّ علياً لم يذكر شيئاً يدلّ على أحقيته في الخلافة، هذا ولم ندخل بعد في رحاب نهج البلاغة.

٥- ومن أشهر أقواله، قوله بعد أن بلغه خبر السقيفة ومبايعة الناس لأبي بكر: (ماذا قالت قريش؟). قالوا: احتجّت بأنها شجرة الرسول ﷺ وآله. فقال: (احتجّوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة)(٢). ٦- وفي احتجاجه المشهور على نتائج السقيفة أيضاً، قوله له:

فإن كنت بالشورى ملكت أمورهم فكيف بهذا والمشيرون غيبُّ

(١) سنن النسائي ٥: ١٢٨ ح ٨٤٦١.

(٢) نهج البلاغة: ٩٧، الخطبة ٦٧.

وإن كنت بالقربى حجبت خصيمهم

فغيرك أولى بالنبى وأقرب(١)

٧- ومن كلام له ﷺ المعروف بالخطبة الشقشقية، التي حظيت دائماً بمزيد من التوثيق(٢)، وهي من أكثر كلماته المشهورة وضوحاً ودلالةً وتفصيلاً: (أما والله لقد تقمصها فلان، وإنه ليعلم أنّ محلى منها محل القطب من

(١) نهج البلاغة: ٥٠٢، قسم الحكم: ١٩٠.

(٢) نقل ابن أبي الحديد عن بعض مشايخه قوله: والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنفت قبل أن يُخلق الرضى بمائتي سنة! ثم قال: وقد وجدت أنا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخي إمام البغداديين من المعتزلة (مولده سنة ٢٧٩هـ، ووفاته سنة ٣١٧هـ - علماً أنّ الشريف الرضى ولد سنة ٣٦٠هـ) - شرح نهج البلاغة ١: ٦٩. ونقلها سبط ابن الجوزي من مصادر غير التي اعتمدها الشريف الرضى، فقال: خطبة أخرى وتعرف بالشقشقية، ذكر بعضها صاحب نهج البلاغة وأحلّ بالبعض، وقد أتيت بها مستوفاه، أخبرنا بها شيخنا أبو القاسم النفيس الأنباري بإسناده عن ابن عباس... تذكره الخواص: ١٢٤.

وأسندها الراوندي (٥٧٣هـ) في شرحه إلى الحافظ ابن مردويه، عن الطبراني، بإسناده إلى ابن عباس. منهاج البراعة ١: ١٣١-١٣٢. ولأجل الوقوف على مزيد من مصادرها، راجع: مصادر نهج البلاغة وأسانيده ١: ٣٠٩-٣١٨.

الرحا، ينحدر عنى السيل ولا يرقى إلى الطير...
فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً، وطفقت أرتئي
بين أن أصول بيد جذاء، أو أصبر على طخية عمياء!..
فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين
قذى، وفي الحلق شجا، أرى تراثي نهيا!
حتى مضى الأول لسبيله، فأدلى بها إلى فلان بعده..
فيا عجباً، بينا هو يستقبلها^(١) في حياته، إذ عقدها
لآخر بعد وفاته لشدة ما تشظرا ضرعيها!..
فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة.. حتى إذا
مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم أنى أحدهم، فيالله
وللشورى، متى اعتراض الريب في مع الأول منهم حتى
صرت أقرن إلى هذه النظائر!...^(٢).
إذا أبو بكر أيضاً كان يعلم أن محل على من الخلافة
محل القطب من الرحا!

وقد يبدو هذا في منتهى الغرابة لمن ألف التصور
القدسي لتعاقب الخلافة، ذاك التصور الذى صنعه التاريخ
وفق المنهج الذى قرأناه فى الفصول المتقدمة، ومن هنا

(١) إشارة إلى قول أبى بكر: أقيلونى، أقيلونى.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣.

استكروه، كما استكروا سائر كلامه فى الخلافة، وقبله
استكروا جملة من الحديث النبوى الشريف الذى يصد
تلك القداسة!

لكن الحقيقة، كل الحقيقة، أنك لو تلمست لذاك التصور
القدسى شاهداً من الواقع مصدقاً له لعدت بلا شئ! لكن لم
يألف التاريخ الإصغاء لعلى!!

التاريخ الذى أثبت، بما لا يدع مجالاً لشبهة، أن علىاً
لم يبايع لأبى بكر، إلا بعد بضعة أشهر، صم آذانه عن
سماح أى حجة لعلى فى هذا التأخر!

تناقض لم يستوقف أحداً من قارئى التاريخ!

وكيف يستوقفهم على عيوب نفسه، وهو وحده الذى
صاغ تصوراتهم وثقافتهم؟

٨- من كلام له بعد الشورى، وقد عزموا على البيعة

لعثمان:

(قد علمتم أنى أحق الناس بها من غيرى، ووالله
لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا
على خاصة؛ التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فى ما
تناقستموه من زخرفه وزبرجه)^(١).

(١) نهج البلاغة: ١٠٢، الخطبة ٧٤.

الله ﷺ وآله: (إنه لا يؤدى إلا أنا أو رجل منى) غيرى؟
قالوا: لا.

قال: ألا تعلمون أن أصحاب رسول الله ﷺ فرّوا عنه
في مآقط الحرب^(١) في غير موطن، وما فررت قط؟
قالوا: بلى.

قال: ألا تعلمون أنى أول الناس إسلاماً؟
قالوا: بلى.

قال: فأينما أقرب إلى رسول الله ﷺ نسباً؟
قالوا: أنت.

فقطع عليه عبد الرحمن بن عوف كلامه، وقال: يا
على، قد أبى الناس إلا على عثمان، فلا تجعلن على نفسك
سبيلاً! ثم توجه عبد الرحمن إلى أبى طلحة
الأنصارى^(٢)، فقال له: يا أبا طلحة، ما الذى أمرك عمر؟
قال: أن أقتل من شق عصا الجماعة!
فقال عبد الرحمن لعلى: بايع إذاً، وإلا كنت متبعاً غير
سبيل المؤمنين!! وأنفذنا فيك ما أمرنا به!!

(١) أى موضع القتال.

(٢) الرجل الذى أمره عمر على خمسين من حملة السيوف يوم الشورى
ليقتلوا من خالف الفئة التى فيها عبد الرحمن.

وجد ابن أبى الحديد أنّ هذه الكلمة هي آخر ما قاله
على ﷺ آنذاك في كلام نقله هنا بعد أن أزاح عنه كل
شك في صحته، فقال: نحن نذكر في هذا الموضع ما
استفاض في الروايات من مناشدته أصحاب الشورى، وقد
روى الناس ذلك فأكثرُوا، والذى صحّ عندنا أنه لم يكن
الأمر كما روى من تلك التعديلات الطويلة، ولكنه قال لهم
بعد أن بايعوا عثمان وتلكاً هو ﷺ عن البيعة: (إن لنا
حقاً إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الإبل وإن
طال السرى) في كلام قد ذكره أهل السيرة..

ثم قال لهم: أنشدكم الله؛ أفيكم أحد أخى رسول الله ﷺ
بينه وبين نفسه - حيث آخى بين بعض المسلمين وبعض -
غيرى؟
قالوا: لا.

قال: أفيكم أحد قال له رسول الله ﷺ وآله: (من كنت
مولاه فهذا مولاه) غيرى؟
قالوا: لا.

قال: أفيكم أحد قال له رسول الله ﷺ وآله: (أنت منى
بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى) غيرى؟
قالوا: لا.

قال: أفيكم من أوّتمن على سورة براءة وقال له رسول

فقال على عليه السلام كلمته هذه: (لقد علمتم أني أحقّ بها من غيري، ووالله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جورٌ إلّا علىّ خاصةً..)(١).

إذاً هذا كلام خبره مستفيض، وليس هو من غرائب الأخبار أو منكراتها.

٩- وقد قال قائل: إنك على هذا الأمر يا ابن أبي طالب لحريص. فقلت: بل أنتم والله لأحرص وأبعد، وأنا أخصّ وأقرب، وإنما طلبت حقاً لي، وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه! فلما قرعته بالحجّة في الملأ الحاضرين هبّ كأنه بُهت لا يدرى ما يجيبني به)(٢)!!

والقائل إمّا سعد بن أبي وقاص يوم الشورى على قول أهل السنة، أو أبو عبيدة بعد يوم السقيفة على قول الشيعة، وأياً كان فهذا الكلام مشهور برويه الناس كافة كما يقول المعتزلي السنّي ابن أبي الحديد(٣).

١٠- (اللهم إنّي أستعديك على قريش ومن أعانهم،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦: ١٦٧-١٦٨.

(٢) نهج البلاغة: ٢٤٦، الخطبة ١٧٢.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٩: ٣٠٥.

فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمراً هو لي، ثم قالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق أن تتركه)(١).

١١- (أمّا بعد.. فإنه لما قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله وآله قلنا: نحن أهله وورثته وعتريته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا، فصارت الإمرة لغيرنا...).

هذه هي مقدّمة خطبته في المدينة المنورة في أول إمارته ولمّا يمض على إمارته أكثر من شهر(٢).

١٢- (أمّا الاستبداد علينا بهذا المقام.. فإنها كانت أثرة شحّت عليها نفوس قوم، وسخت عنها نفوس آخرين، والحكم لله، والمعودُ إليه القيامة).

قاله في جواب سائل سأله: كيف دفعكم قومكم عن هذا المقام وأنتم أحقّ به؟

ثم يصل جوابه بما ينقله إلى ما هو أولى بالاستتكار، فيقول:

وَدَعَّ عَنْكَ نَهَباً صِيحٌ فِي حَجْرَاتِهِ

(١) نهج البلاغة: ٢٤٦، الخطبة ١٧٢.

(٢) نهج البلاغة، لابن أبي الحديد ١: ٣٠٧.

الوصية تصريحاً أو تلميحاً^(١)، ثم هو الموضوع الأكثر صراحة في نسبة الوصية إلى نفسه وأهل البيت مع هذا، فهو الموضوع الذي أهمله الدكتور محمد عمارة وهو يستقصى هذه المفردة في كلام الإمام عليّ، أو غفل عنه، لأجل أن يقول: إننا لا نجد في خطب عليّ وكلامه ومراسلاته التي ضمها نهج البلاغة وصفه بهذا اللفظ.

هذا كله لأجل أن يدعم مقالة حلق فيها بدءاً حين نسب كلمة (وصي) في الحديث النبوي: (أنت أخي ووصي) إلى صنع الشيعة الذين وضعوها بدلاً من كلمة (وزيري)^(٢)! مع أنّ الرواية السننية للحديث لم تعرف غير كلمة (وصي)^(٣).

٣- (إنّ الأئمة من قريش، غرسوا في هذا البطن من هاشم، لا تصلح على سواهم، ولا تصلح الولاية من غيرهم)^(٤).

وقد وقفنا من قبل على طائفة من النصوص الصحيحة

(١) انظر نهج البلاغة أيضاً الخطبة ٨٨ و١٨٣.

(٢) الخلافة ونشأة المذاهب الإسلامية، الدكتور محمد عمارة: ٣٣، ١٥٧-١٥٨.

(٣) معالم التنزيل، البغوي ٤: ٢٧٨، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢: ٦٤.

(٤) نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح: ٢٠١، الخطبة ١٤٤.

ولكن حديثاً ما حديث الرواحل وهلمّ الخطب في ابن أبي سفيان، فلقد أضحكني الدهر بعد إيكائه...^(١).

في أهل البيت (عليهم السلام)

مثل ما ظهر هناك من وضوح وتركيز في استعراض حقه خاصة، يظهر هنا في شأن أهل البيت في جملة من كلماته:

١- (اللهم بلي، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، إمّا ظاهراً مشهوراً، وإمّا خائفاً مغموراً، لئلا تبطل حجج الله وبيئاته)^(٢).

يرى ابن أبي الحديد المعتزلي أنّ هذا يكاد يكون تصريحاً بمذهب الإمامية^(٣).

٢- (لا يقاس بأل محمد ﷺ من هذه الأمة أحد،... هم أساس الدين، وعماد اليقين.. ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة...)^(٤).

فبعد ذكر حق الولاية، هذا واحد من مواضع يذكر فيها

(١) نهج البلاغة: ٢٣١، الخطبة ١٦٢.

(٢) نهج البلاغة: ٤٩٧، قصار الحكم ١٤٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٨: ٣٥١ الخطبة ١٤٣.

(٤) نهج البلاغة: ٤٧، الخطبة ٢.

التي اصطفت بنى هاشم من قريش وقدّمتم عليهم، وطائفة من الوقائع وأحداث السيرة التي قدّمت بنى هاشم على سواهم، فلا تحتجّ قريش بحجة إلا وكان بنو هاشم أولى بها.

٤- (أين تذهبون! وأنى تؤفكون! والأعلام قائمة، والآيات واضحة، والمنار منصوبة، فأين يتاه بكم؟! وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمنة الحق، وأعلام الدين، والسنة الصدق؟! فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن، وردوهم ورود الهيم العطاش.

أيها الناس، خذوها عن خاتم النبيين ﷺ وآله: إنه يموت من مات منا وليس بميت، ويبلى من بلى منا وليس ببال) (١).

استنكار لاذع، وأسف على هؤلاء الناس الذين تركوا عترة نبيهم، رغم وضوح الدلائل على لزوم اتباعهم! ٥- (إنا من سنخ أصلاب أصحاب السفينة، وكما نجا في هاتيك من نجا ينجو في هذه من ينجو، ويل رهين لمن تخلف عنهم، إني فيكم كالكهف لأهل الكهف، وإني فيكم باب حطة، من دخل منه نجا ومن تخلف عنه هلك، حجة من ذى الحجة في حجة الوداع: إني قد تركت بين أظهركم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبدا: كتاب الله

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح: ١١٩، الخطبة ٨٧.

وعترتى أهل بيتي) (١).

٦- (انظروا أهل بيت نبيكم، فالزموا سمتهم، واتبعوا أثرهم، فلن يخرجوكم من هدى، ولن يعيدوكم فى ردى، فإن ليدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا، ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا) (٢).

٧- (.. ألم أعمل فيكم بالنقل الأكبر، وأترك فيكم الثقل الأصغر؟) (٣).

الثقل الأكبر: القرآن الكريم، والثقل الأصغر هم: أهل البيت الأطهار (عليهم السلام).

٨- (المهدى منا أهل البيت، يصلحه الله فى ليلة) أخرجه أحمد والسيوطى، عن على عليه السلام (٤). (المهدى منا، من ولد فاطمة) أخرجه السيوطى عن على عليه السلام (٥).

وهكذا تقسّمت كلمات الإمام على كرم الله وجهه هذه بين حديث نبوى بحرفه أو بمضمونه، وبين وصف أو تقويم لحدث تاريخى حاسم، وليس فى هذا كله على

(١) تاريخ يعقوبى ٢: ٢١١-٢١٢.

(٢) نهج البلاغة: ١٤٣، الخطبة ٩٧.

(٣) نهج البلاغة: ١١٩، الخطبة ٨٧.

(٤) مسند أحمد ١: ٨٤، الجامع الصغير ٢: ٦٧٢ ح ٩٢٤٣.

(٥) مسند فاطمة، السيوطى: ٢٢٤ ح ٩٤.

حول بيعة

الإمام على عليه السلام للخلفاء الثلاثة

وأشكلوا على بيعة الإمام على عليه السلام للخلفاء الثلاثة -
أبى بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم - وزعموا أنه لا يجاب عن
تلك البيعة بتوخى المصلحة، أو بالتقية، أو بالإكراه، فكل
ذلك يؤدى إلى انتقاص فى حق سيدنا الإمام على عليه السلام .
فإن مسألة الإكراه على البيعة، وعدم مبادرتة إليها
بنفسه، قد تناقلها أهل التواريخ والسير .

أخرج البخارى: (أن علياً امتنع عن البيعة لمدة ستة
أشهر حتى توفيت فاطمة الزهراء (عليها السلام)) (١).
وفى خطبة للإمام على عليه السلام جاء ما يبيّن بوضوح
أسباب بيعته، ويفصح عن سرّها فلا يبقى تأويل لمتأول؛
فهو يقول:

أ- (وأيّم الله لولا مخافة الفرقة، وأن يعود الكفر ويبور

(١) صحيح البخارى ٥: ٢٨٨ وتاريخ الطبرى ٢: ٢٣٤. عن الزهرى،
تكريماً للزهراء وتوهيناً لعلى عليه السلام إلا لخاطرهما، ولا يصح، وإنما بايع
دفعاً لفتنة الردّة بشفاعة عثمان، وللعلل والعوامل والأسباب التالى ذكرها
عنه عليه السلام، وليس لاضطراره لفقد فاطمة (عليها السلام).

الإطلاق ما يشدّ عن وقائع التاريخ فى صغيرة ولا كبيرة.
وخلاصة موقف الإمام على عليه السلام ويقينه بحقه فى
الخلافة فقد كان يقينا من موقعه الممتاز عند الرسول صلى الله عليه وسلم
وآله، ومن حياته الخالصة فى الإسلام، فلقد كان يقول:
(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى
أَعْقَابِكُمْ﴾ (١) والله لا نَنْقَلِبُ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ،
وَاللَّهُ لَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ لَأَقَاتِلَنَّ عَلَى مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ حَتَّى
أَمُوتَ، وَاللَّهُ إِنِّى لِأَخُوهُ وَوَلِيِّهِ وَابْنُ عَمِّهِ وَوَارِثُ عِلْمِهِ،
فَمَنْ أَحَقُّ بِهِ مِنِّى؟ (٢)!

وهو القائل: (فلما مضى صلى الله عليه وسلم وآله تنازع المسلمون
الأمر من بعده، فوالله ما كان يُلقى فى رُوعى ولا يخطر
ببالى أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وسلم وآله عن
أهل بيته! ولا أنهم مُنَحَّوه عنى من بعد! فما راعنى إلا
انثيال الناس على فلان يبايعونه... (٣).

هكذا إذا (أراده حقاً يطلبه الناس، ولا يسبقهم هو إلى
طلبه) (٤).

(١) (آل عمران: ١٤٤).

(٢) المستدرک ٣: ١٢٦، مجمع الزوائد ٩: ١٣٤، قال: رجاله رجال
الصحيح، وقد جادل فيه بعض متابعي المذهب، لا قدحاً فى إسناده!

(٣) نهج البلاغة: ٤٥١، الكتاب ٦٢ فى كتابه لأهل مصر.

(٤) فاطمة الزهراء والفاطميون، عباس محمود العقاد، المجلد الثانى من
المجموعة الكاملة: ٣٢٦.

الدين، لغيرنا ذلك، فصبرنا على بعض الألم^(١).
 ب- وقال عليه السلام في نهج البلاغة: (فنظرت، فإذا ليس لي معين إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن الموت، وأغضيت على القذى، وشربت على الشجا، وصبرت على أخذ الكظم، وعلى أمر من طعم العلقم)^(٢).
 فهل يمكن أن يُؤتى ببيان أوضح من هذا؟! وإذًا، فما وجه الانتقال بعد هذا التذمر والشكوى؟ وهو عليه السلام أعلم بالحال والمآل.

نعم، لو لم يحتج عليهم، وكان قد خرج إلى السقيفة يسعي تاركاً جسد الرسول الحبيب وصفق على أيديهم فوراً لكان ثمة وجه لمثل هذا الاحتجاج.
 فإذا ثبت من خلال سيرة علي بن أبي طالب عليه السلام بأنه قد هاجم نظرية الشورى وصرح بعدم شرعيتها، وصرح بالإكراه في بيعته للخلفاء الثلاثة لم تكن لبيعته أية دلالة على مشروعية خلافتهم كما هو ثابت من تصريحاته عليه السلام.

ثم إنه قد بين على أنه الأولى بالخلافة من غيره، فهل

يمكن لنا أن نقول بأن شرعية الخلافة له من باب أن علياً أولى بالخلافة أولوية تفضيل لا أولوية اختصاص؟
 هذا الرأي مدفوع بالنص وبكلمات على عليه السلام حين قال: (بايع الناس أبا بكر وأنا أولى الناس بهم منى بقميصي هذا) والذي معناه أنها أولوية اختصاص لا أولوية تفضيل، إذ لا معنى لمقارنته عليه السلام بين أولويته بالأمر وألويته بقميصه غير الاختصاص، فإنه مما لا شك فيه أن أولويته بقميصه أولوية اختصاص لأنه مالكة، وهو عليه السلام يقول إن أولويته بالناس أشد وأكد من أولويته بقميصه. وكذلك قوله عليه السلام: (... وطفقت أرتنى بين أصول بيدٍ جداء أو أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتى يلقي ربه، فرأيت أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى أرى ترائي نهبا)^(١).
 ومعناه: أخذت أخيراً نفسي بين أن أصول بقوة غير كافية كما في قوله عليه السلام: (فنظرت فإذا ليس لي معين إلا

(١) بحار الأنوار ٢٨: ٣١٣، نقلاً عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١٥١ بل المصادر السابقة.

(١) نهج السعادة ١: ٢٤٨ للشيخ محمودى.
 (٢) نهج البلاغة، ضبط الدكتور صبحى الصالح: ٦٨ الخطبة ٢٦.

الشواهد التاريخية على صحة نظرية النص:

والشواهد في حياة النبي ﷺ وآله، وعلى ﷺ على أن النبي كان يعد علياً إعداداً رسالياً خاصاً - كثيرة جداً، فقد كان يبدأه النبي ﷺ وآله بالعطاء الفكري إذا استنفذ أسئلته، ويختلي به الساعات الطوال في الليل والنهار، يفتح عينيه على مفاهيم الرسالة ومشاكل الطريق إلى آخر يوم من حياته الشريفة.

روى النسائي^(١) بسنده عن أبي إسحاق، قال: سألت قثم بن العباس، كيف ورث علي ﷺ رسول الله ﷺ؟ قال: لأنه كان أولنا به لحوقاً وأشدنا به لزوقاً.

وروى أيضاً^(٢) عن علي ﷺ قال: (كنت إذا سألت أُعطيت، وإذا سكتَ ابتديت).

وروى أبو نعيم في حلية الأولياء عن ابن عباس أنه قال: (كنا نتحدث أن النبي ﷺ عهد إلى علي سبعين عهداً

(١) الخصائص: ٩١، الشواهد على سلوك النبي ﷺ وآله لطريق النص، تحقيق الجويني طبعة دار الكتب العلمية، ورواه أيضاً الحاكم في المستدرک ٣: ١٣٦.

(٢) الخصائص: ٩٨، والمستدرک ٣: ١٣٥.

أهل بيتي فضننت بهم عن الموت^(١). فلو توفرت له القوة الكافية لقاتل وهو المعروف عنه من قوله ﷺ: (لو وجدت أربعين ذوى عزم لناهضت القوم)^(٢).

إنّ هذا الموقف من علي ﷺ لا ينسجم مع فكرة أولوية التفضيل بل ينسجم مع فكرة أولوية الاختصاص. وهو ما أكدّه ﷺ بعد مقتل عثمان حين جاءوه يطلبون البيعة له: (دعوني... فإن المحجة قد أغامت، والحجة قد تنكرت)^(٣).

وقوله: (وإني لأخشى عليكم أن تكونوا في فترة وقد كانت أمور مضت ملتم فيها ميلة كنتم فيها عندي غير محمودين)^(٤)(٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٢١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ٤٧.

(٣) نهج البلاغة، صبحي صالح: ١٣٦، الخطبة ٩٢.

(٤) نهج البلاغة، صبحي صالح ٢: ٢٥٦، الخطبة ١٧٨.

(٥) راجع شبهات وردود ٣: ٤٧.

لم يعهدا إلى غيره^(١).

وروى النسائي عن علي عليه السلام أنه قال: (كانت لى منزلة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن لأحد من الخلائق فكنت آتية كل سحر فأقول: السلام عليك يا نبي الله، فإن تتحنح انصرفت إلى أهلي وإلا دخلت عليه)^(٢).

وعنه أيضاً قوله عليه السلام: (كان لى من النبي مدخلان: مدخل بالليل ومدخل بالنهار)^(٣).

وقد انعكس هذا الإعداد الخاص لعلي عليه السلام من قبل النبي صلى الله عليه وسلم حين كان علي عليه السلام هو المفزع والمرجع لحل أى مشكلة يستعصى حلها على القيادة الحاكمة وقتئذ، ولا نعرف فى تاريخ التجربة الإسلامية على عهد علي عليه السلام واقعة واحدة رجع فيها الإمام عليه السلام إلى غيره يتعرف على حكم الإسلام وطريقة علاجه للموقف، بينما نعرف فى التاريخ عشرات الوقائع التى رجع فيها الخلفاء إلى علي عليه السلام.

أما الشواهد على إعلان النبي صلى الله عليه وسلم وآله تخطيطه فى

(١) حلية الأولياء ١: ٦٨.

(٢) الخصائص: ٩٧ تحقيق الجوينى ط. دار الكتب العلمية.

(٣) المصدر السابق: ٩٦.

على وأهل بيته (عليهم السلام) فهى كثيرة وفى مناسبات متعددة، كحديث الدار وحديث الثقلين وحديث المنزلة وحديث الغدير وعشرات النصوص النبوية الأخرى^(١).

الأدلة الروائية لإثبات نظرية النصّ

وإذا ثبت أن نظرية النصّ هى الطريق الوحيد الإلهي الشرعى الذى قام بتثبيته الرسول صلى الله عليه وسلم وآله أثناء حياته من الناحية التاريخية.

وأن الإمام علي بن أبى طالب عليه السلام قد رفض كل الصيغ والبدائل الدخيلة على الإسلام غير النص، وقام من الناحية العملية بالدفاع عن نظرية النص، بقى أن نسأل عن الأدلة النقلية التى تثبت بأن الرسول صلى الله عليه وسلم وآله قد أوصى لعلي عليه السلام من بعده بالخلافة، كما أوصى الإمام علي عليه السلام هو الآخر بالخلافة للأئمة المعصومين من ولده.

(١) راجع صحيح الترمذى ٥: ٢٩٧، سنن ابن ماجة ١: ٤٤، ح ١١٩، حلية الأولياء ١: ٦٣، الكشاف للزمخشري ١: ٦٤٩، تاريخ دمشق ٢: ٤٧٦، ح ٩٩٦ و ٩٩٧، شواهد التنزيل ١: ١٦١، ح ٢١٦ إلى ح ٢٣٩، مجمع الزوائد ٩: ١١١، الصواعق المحرقة: ١٠١، ١٣٥، ١٣٦، مسند أحمد ٣: ٧ و ٢٦.

إنّ الشيعة الإمامية يعتقدون بإمامة علي بن أبي طالب وإبنه الحسن والحسين وتسعة أئمة من أولاد الحسين (عليهم السلام)، وإمامة هؤلاء وردت بالنص عن رسول الله ﷺ وآله، وينص كل إمام على الإمام الذي بعده. والنصوص النبوية الواردة عليها تنقسم إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول: ما يحدد مرجعية أهل البيت من دون نص على أسمائهم؛ مثل حديث الثقلين وحديث السفينة، وهما متواتران من طرق الشيعة والسنة.

النوع الثاني: ما يحدد عدد الخلفاء والأئمة بأنهم اثنا عشر وأنهم من قریش أو أنهم من بنى هاشم. ومن الواضح انطباق هذا العدد على أئمة أهل البيت ولا يواجه أى إشكال بخلاف تطبيقه على غيرهم.

النوع الثالث: النص على أسماء الأئمة الاثني عشر من طرق الشيعة والسنة.

أمّا ما ورد بخصوص النوع الأول:

فقد روى الترمذى عن جابر، أنه قال: رأيت رسول الله ﷺ في حجة يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعتة يقول:

(يا أيها الناس إنى قد تركت فيكم، ما إن أخذتم به لن تضلوا، كاب الله وعترتى أهل بيتى).

قال الترمذى: وفى الباب عن أبى سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة ابن أسيد^(١).

وفى صحيح مسلم ومسنند أحمد وسنن الدارمى والبيهقى وغيرهما واللفظ للأول، عن زيد بن أرقم قال: إن رسول الله قام خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة... ثم قال:

(ألا يا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتى رسول ربى فأجيب، وإنى تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به... وأهل بيتى)^(٢).

وفى سنن الترمذى ومسنند أحمد واللفظ للأول: (إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتى أهل بيتى، ولن يتفرقا حتى يردا علىّ

(١) الترمذى ٥: ٦٢١، باب مناقب بيت النبى، وراجع كنز العمال ١: ٤٨.

(٢) صحيح مسلم باب فضائل على بن أبى طالب، ومسنند أحمد ٤: ٣٦٦، وسنن الدارمى ٢: ٤٣١ باختصار، وسنن البيهقى ٢: ١٤٨ و٧: ٣٠ منه باختلاف يسير، والطحاوى فى مشكل الآثار ٤: ٣٦٨.

الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما^(١).
ومن النصوص التي وردت من هذا النوع حديث
السفينة.

قال رسول الله ﷺ وآله: (ألا إن مثل أهل بيتي فيكم
مثل سفينة نوح من قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها
غرق)^(٢).

ويرى فريق من العلماء أن أهل البيت إنما هم الخمسة
الكرام البررة: سيدنا رسول الله ﷺ وآله والإمام على
والسيدة فاطمة الزهراء وسيدنا الحسن وسيدنا الحسين
(عليهم السلام).

وقد قال بهذا الرأي كثير من الصحابة، قاله أبو سعيد
الخدري، وأنس بن مالك، ووائلة بن الأسقع، وأم المؤمنين
أم سلمة وأم المؤمنين عائشة، وابن أبي سلمة- ربيب
النبي ﷺ وآله- وسعد بن أبي وقاص وغيرهم.
وقال به جماعة من أهل التفسير والحديث، منهم الفخر
الرازى في التفسير الكبير، والزمخشري في الكشاف،

(١) الترمذى ٥: ٦٢٢، وأسد الغابة ٢: ١٢ في ترجمة الإمام الحسن،
والدر المنثور للسيوطي في تفسير آية المودة في سورة الشورى.

(٢) الحاكم في المستدرک ٣: ١٥١.

والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، والشوكاني في فتح
القدير، والطبري في جامع البيان عن تأويل آي القرآن،
والسيوطي في الدر المنثور، وابن حجر العسقلاني في
الإصابة، والحاكم في المستدرک، والذهبي في تلخيصه،
والإمام أحمد بن حنبل في المسند.
ولعل هذا الرأي أقرب إلى الصواب، بل أرجح الآراء
وذلك لما يلي:

- روى مسلم في صحيح بسنده عن عامر بن سعد
أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان
سعداً، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ فقال: أما ما
ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله ﷺ فلن أسبّه، إن تكون
لى واحدة منهن، أحب إلى من حمر النعم.
سمعت رسول الله ﷺ يقول له - وقد خلفه في بعض
مغازيه- فقال له على: يا رسول الله! خلفتني مع النساء
والصبيان؟ فقال له الرسول ﷺ وآله: (أما ترضى أن
تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة
بعدي).

وسمعه يقول يوم خيبر: (لأعطين الراية رجلاً يحب
الله ورسوله، ويحب الله ورسوله، قال: فتناولنا لها، فقال:
أدعو لى علياً، فأتى به أرمم فبصق فى عينيه، ودفع

الرأية إليه ففتح الله عليه).

ولما نزلت هذه الآية: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ (١) دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: (اللهم هؤلاء أهلي) (٢).

- ورواه الترمذى فى صحيحه بسنده عن عامر بن سعد ابن أبى وقاص قال: لما أنزل الله هذه الآية ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: (اللهم هؤلاء أهلي) (٣).

- ورواه الحاكم فى المستدرک (٤) والبيهقى فى السنن (٥).

- ويقول صاحب الكشف: لا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء، وهم: على وفاطمة والحسن والحسين، لأنها لما نزلت (آية المباهلة) (٦) دعاهم ﷺ

(١) (آل عمران: ٦١).

(٢) صحيح مسلم ١٥: ١٧٥ - ١٧٦.

(٣) سنن الترمذى ٢: ١٦٦.

(٤) المستدرک للحاكم ٣: ١٥٠.

(٥) سنن البيهقى ٧: ٦٣.

(٦) (آل عمران: ٦١).

فاحتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، ومشت فاطمة خلفه، وعلى خلفها، فعلم أنهم المراد من الآية، وأن أولاد فاطمة وذريتهم يسمون أبناءه، وينسبون إليه نسبة صحيحة، نافعة فى الدنيا والآخرة (١).

- وروى الإمام أحمد فى الفضائل بسنده عن شداد أبى عمار، قال: دخلت على وائلة بن الأسقع، وعنده قوم فذكروا علياً فشتموه فشتمته معهم، فلما قاموا قال لى: لم شتمت هذا الرجل؟ قلت: رأيت القوم شتموه فشتمته معهم، فقال: ألا أخبرك بما رأيت من رسول الله ﷺ؟ قلت: بلى، فقال: أتيت فاطمة أسألها عن على، فقالت: توجه إلى رسول الله ﷺ فجلست أنتظره حتى جاء رسول الله ﷺ ومعه على وحسن وحسين أخذ كل واحد منهما بيده حتى دخل فأدنى علياً وفاطمة فأجلسهما بين يديه، وأجلس حسناً وحسيناً كل واحد منهما على فخذة ثم لف عليهم ثوبه - أو قال كساء - ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ (٢) ثم قال:

(١) تفسير الكشاف للزمخشري ١: ١٤٧ - ١٤٨.

(٢) (الأحزاب: ٣٣).

(اللهم هؤلاء أهل بيتي، وأهل بيتي أحق) (١).
ورواه الإمام الطبري في التفسير (٢)، والترمذي في صحيحه (٣)، والسيوطي في الدر المنثور (٤)، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد (٥)، والحاكم في المستدرک (٦)، وأحمد في المسند (٧).

وأما ما ورد بخصوص النوع الثاني:

ما نصّ فيه الرسول على عدد من الأئمة وأنهم اثنا عشر.

لقد أخبر الرسول ﷺ وآله أن عدد الأئمة الذين يكون من بعده اثنا عشر إماماً وخليفة من بعده، كما روى عنه ذلك أصحاب الصحاح والمسانيد الآتية:

١- روى مسلم عن جابر بن سمرة أنه سمع النبي ﷺ

(١) الإمام أحمد بن حنبل: كتاب فضائل الصحابة ٢: ٥٥٧ - ٥٧٨.

(٢) تفسير الطبري ٢٢: ٥ - ٦.

(٣) صحيح الترمذي ٥: ٣٥١ - ٦٦٣.

(٤) تفسير الدر المنثور ٥: ١٩٨.

(٥) مجمع الزوائد ٩: ١٦٦.

(٦) المستدرک للحاكم ٣: ١٤٧.

(٧) مسند الإمام أحمد ٤: ١٠٧.

يقول: (لا يزال الدين قائماً حتى تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش) (١).
وفي رواية سفيان بن عيينة: تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علىّ، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله ﷺ؟ فقال: (كلهم من قريش) (٢).

وفي رواية قال: (كلهم من بنى هاشم) (٣).

وروى أحمد والحاكم واللفظ للأول عن مسروق قال: كنا جلوساً ليلة عند عبد الله (ابن مسعود) يقرئنا القرآن، فسأله رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله ﷺ كم تملك هذه الأمة من خليفة؟ فقال عبد الله: ما سألتني عنها أحد منذ قدمت العراق قبلك!
ثم قال: نعم، ولقد سألتنا رسول الله ﷺ فقال: (اثنا عشر، كعدّة نقباء بنى إسرائيل) (٤).

(١) صحيح مسلم ٦: ٤.

(٢) فتح الباري: ١٣/١٨١، كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، ومستدرک

الصحيحين: ٣/٦١٧.

(٣) ينابيع المودة: للقدوزي الحنفي، ٣ الباب ٧٧.

(٤) مسند أحمد ١: ٣٩٨ و ٤٠٦، وفتح الباري ١٦: ٣٣٩، ومجمع الزوائد

٥: ١٩٠، والصواعق المحرقة: ١٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٠،

حيرتهم في تفسير الحديث

يقول الشيعة: لقد حار علماء أهل السنة في بيان المقصود من الاثنى عشر في الروايات المذكورة وتضاربت أقوالهم.

فقد قال ابن العربي في شرح سنن الترمذى: فعددنا بعد رسول الله ﷺ اثنى عشر أميراً فوجدنا أبا بكر، عمر، عثمان، علياً، الحسن، معاوية، يزيد، معاوية بن يزيد، مروان بن الحكم، عبد الملك بن مروان، الوليد، سليمان، عمر بن عبد العزيز، يزيد بن عبد الملك، مروان بن محمد بن مروان، السفاح.... ثم عدّ بعده سبعاً وعشرين خليفة من العباسيين إلى عصره، ثم قال: وإذا عددنا منهم اثنى عشر، انتهى العدد بالصورة إلى سليمان، وإذا عددناهم بالمعنى كان معنا منهم خمسة، الخلفاء الأربعة وعمر بن عبد العزيز ولم أعلم للحديث معنى (١).

وقال القاضى عياض فى جواب من قال: إنه ولى أكثر

والجامع الصغير للسيوطى ١: ٧٥، وكنز العمال ١٣: ٢٧، وفيض القدير فى شرح الجامع الصغير للمناوى ٢: ٤٥٨، وابن كثير فى تاريخه ٦: ٢٤٨.

(١) شرح ابن العربي على سنن الترمذى ٩: ٦٨ - ٦٩.

من هذا العدد: هذا اعتراض باطل، لأنه ﷺ لم يقل: لا يلى إلا اثنا عشر، وقد ولى هذا العدد، ولا يمنع ذلك من الزيادة عليهم (١).

ونقل السيوطى الجواب فقال: إن المراد وجود اثنى عشر خليفة فى جميع مدة الإسلام إلى القيامة يعملون بالحق وإن لم يتوالوا (٢).

وفى فتح البارى: وقد مضى منهم الخلفاء الأربعة ولا بدّ من تمام العدة قبل قيام الساعة (٣).

وقال ابن الجوزى: وعلى هذا فالمراد من (ثم يكون الهرج): وهى الفتن المؤذنة بقيام الساعة من خروج الدجال وما بعده (٤).

قال السيوطى: وقد وجد من الاثنى عشر الخلفاء الأربعة، والحسن، ومعاوية، وابن الزبير، وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهديّ

(١) شرح النووى على مسلم ١٢: ٢٠١ - ٢٠٢. وفتح البارى ١٦: ٣٣٩،

واللفظ منه وكرّره فى ص: ٣٤١.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٢.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطى: ١٢.

(٤) المصدر السابق.

العباسي، لأنه في العباسيين كعمر بن عبد العزيز في الأمويين، والظاهر العباسي أيضاً لما أتته من العدل، ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من أهل البيت (١).

وقيل: المراد أن يكون الاثنا عشر في مدة عزّة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره، ممّن يعزّ الإسلام في زمنه، ويجتمع المسلمون عليه (٢).

وقال البيهقي: وقد وجدنا هذا العدد بالصفة المذكورة إلى وقت الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم وقع الهرج والفتنة العظيمة، ثم ظهر ملك العباسية، وإتّما يزيدون على العدد المذكور في الخبر، إذا تركت الصفة المذكورة فيه، أو عدّ منهم من كان بعد الهرج المذكور (٣).

وقالوا: والذين اجتمعوا عليه: الخلفاء الثلاثة، ثم على إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فتسمّى معاوية يومئذٍ

(١) الصواعق المحرقة: ١٩، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٢. وعلى هذا يكون لأتباع مدرسة أهل السنة، إمامان منتظران أحدهما المهدي.

(٢) أشار إليه النووي في شرح مسلم ١٢: ٢٠٢-٢٠٣. والسيوطي في تاريخ الخلفاء: ١٠.

(٣) نقله ابن كثير في تاريخه ٦: ٢٤٩ عن البيهقي.

بالخلافة، ثم اجتمعوا على معاوية عند صلح الحسن، ثم اجتمعوا على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمرٌ بل قتل قيل ذلك، ثم لما مات يزيد اختلفوا إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة: الوليد، ثم سليمان، ثم يزيد، ثم هشام، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز، والثاني عشر هو الوليد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه بعد هشام وتولى أربع سنين (١).

بناءً على هذا: فإنّ خلافة هؤلاء الاثني عشر كانت صحيحة لإجماع المسلمين عليهم، وكان الرسول قد بشر المسلمين بخلافتهم له في حمل الإسلام إلى الناس.

قال ابن حجر عن هذا الوجه: إنه أرجح الوجوه.

وقال ابن كثير: إنّ الذي سلكه البيهقي وقد وافقه عليه جماعة، من أن المراد بالخلفاء الاثني عشر المذكورين في هذا الحديث هم المتتابعون إلى زمن الوليد بن يزيد بن عبد الملك - الفاسق الذي قدمنا الحديث فيه بالذم والوعيد فإنّه مسلك فيه نظر - وبيان ذلك أنّ الخلفاء إلى زمن

(١) تاريخ الخلفاء: ١١، والصواعق المحرقة: ١٩، وفتح الباري ١٦:

الوليد ابن يزيد هذا أكثر من اثني عشر على كل تقدير، وبرهانه أن الخلفاء الأربعة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلى خلفتهم محققة... ثم بعدهم الحسن بن علي كما وقع عليه السلام لأن علياً أوصى إليه، وبايعه أهل العراق... حتى اصطلح هو ومعاوية.. ثم ابنه يزيد بن معاوية، ثم ابنه معاوية بن يزيد، ثم مروان بن الحكم، ثم ابنه عبد الملك بن مروان، ثم ابنه الوليد بن عبد الملك، ثم سليمان بن عبد الملك، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد بن عبد الملك، ثم هشام بن عبد الملك، فهؤلاء خمسة عشر، ثم الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فإن اعتبرنا ولاية ابن الزبير قبل عبد الملك صاروا ستة عشر، وعلى كل تقدير فهم اثنا عشر قبل عمر بن عبد العزيز، وعلى هذا التقدير يدخل في الاتي عشر يزيد بن معاوية ويخرج منهم عمر بن عبد العزيز، الذي أطبق الأئمة على شكره وعلى مدحه وعدوه من الخلفاء الراشدين، وأجمع الناس قاطبة على عدله، وأن أيامه كانت من أعدل الأيام حتى الرفضة يعترفون بذلك، فإن قال: أنا لا أعتبر إلا من اجتمعت الأمة عليه، لزمه على هذا القول أن لا يعدّ على بن أبي طالب ولا ابنه، لأن الناس لم يجتمعوا عليهما وذلك أن أهل الشام بكاملهم لم يبايعوهما.

ونذكر: أن بعضهم عدّ معاوية وابنه يزيد وابن ابنه معاوية بن يزيد، ولم يقيد بأيام مروان ولا ابن الزبير، لأن الأمة لم تجتمع على واحد منهما، فعلى هذا نقول في مسلكه هذا عاداً للخلفاء الثلاثة، ثم معاوية، ثم يزيد، ثم عبد الملك، ثم الوليد بن سليمان، ثم عمر بن عبد العزيز، ثم يزيد، ثم هشام، فهؤلاء عشرة، ثم من بعدهم الوليد ابن يزيد بن عبد الملك الفاسق، ويلزمه منه إخراج عليّ وابنه الحسن، وهو خلاف ما نصّ عليه أئمة السنة بل والشيعه^(١).

ونقل ابن الجوزي في كشف المشكل وجهين في

الجواب:

أولاً: أنه عليه السلام وآله أشار في حديثه إلى ما يكون بعده وبعد أصحابه، وأنّ حكم أصحابه مرتبط بحكمه، فأخبر عن الولايات الواقعة بعدهم، فكأنه أشار بذلك إلى عدد الخلفاء من بني أمية، وكانّ قوله: (لا يزال الدين) أي الولاية إلى أن يلي اثنا عشر خليفة، ثم ينتقل إلى صفة أخرى أشد من الأولى، وأول بني أمية يزيد بن معاوية وآخرهم مروان الحمار، وعدتهم ثلاثة عشر، ولا يعدّ

(١) تاريخ ابن كثير ٦: ٢٤٩ - ٢٥٠.

عَلَّقَ ابن حجر على الحديث الأخير فى صواعقه وقال: إن هذه الرواية واهية جداً فلا يعول عليها^(١).
وقال قوم: يغلب على الظن أنه ﷺ أخبر - فى هذا الحديث - بأعاجيب تكون بعده من الفتن حتى يفترق الناس فى وقت واحد على اثنى عشر أميراً، ولو أراد غير هذا لقال: اثنا عشر أميراً يفعلون كذا. فلما أعرأهم عن الخبر عرفنا أنه أراد أنهم يكونون فى زمن واحد...^(٢).
قالوا: وقد وقع فى المائة الخامسة، فإنه كان فى الأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمى بالخلافة، ومعهم صاحب مصر والعباسية ببغداد إلى من كان يدعى الخلافة فى أقطار الأرض من العلوية والخوارج^(٣).
قال ابن حجر: وهو كلام من لم يقف على شئ من طرق الحديث غير الرواية التى وقعت فى البخارى هكذا مختصرة...^(٤).
إن وجودهم فى عصر واحد يوجد عين الافتراق فلا

(١) فتح البارى ١٣: ١٨٤، والصواعق المحرقة لابن حجر: ١٩.

(٢) فتح البارى ١٦: ٣٣٨.

(٣) شرح النووى ١٢: ٢٠٢، وفتح البارى ١٦: ٣٣٩، واللفظ للأخير.

(٤) فتح البارى ١٣: ١٨٢.

عثمان ومعاوية ولا ابن الزبير لكونهم صحابة، فإذا أسقطنا منهم مروان بن الحكم للاختلاف فى صحبته، أو لأنه كان متغلباً بعد أن اجتمع الناس على عبد الله بن الزبير، صحت العدة، وعند خروج الخلافة من بنى أمية وقعت الفتن العظيمة والملاحم الكثيرة فتغيرت الأحوال عما كانت عليه تغييراً بيّناً.
وقد ردّ ابن حجر فى فتح البارى على هذا الاستدلال^(١).

ثانياً: ونقل ابن الجوزى عن الجزء الذى جمعه أبو الحسين بن المنادى فى المهدي، وأنه قال: يحتمل أن يكون هذا بعد المهدي الذى يخرج فى آخر الزمان، فقد وجدت فى كتاب دانيال: إذا مات المهدي، ملك خمسة رجال من ولد السبط الأكبر، ثم خمسة من ولد السبط الأصغر، ثم يوصى آخرهم بالخلافة لرجل من ولد السبط الأكبر، ثم يملك بعده ولده فيتمّ بذلك اثنا عشر ملكاً كل واحد منهم إمام مهديّ، قال: وفى رواية... ثم يلى الأمر بعده اثنا عشر رجلاً: ستة من ولد الحسن، وخمسة من ولد الحسين، وآخر من غيرهم، ثم يموت فيفسد الزمان.

(١) فتح البارى ١٣: ١٨٣، عن ابن الجوزى فى كتابه (كشف المشكل).

يصح أن يكون المراد (١).

هكذا لم يتفقوا على رأى فى تفسير الروايات السابقة، ثم إنهم أهملوا إيراد الروايات التى ذكر الرسول ﷺ وآله فيها أسماء الأئمة الاثنى عشر لأنها كانت تخالف سياسة الحكم فى مدرسة الخلفاء مدى القرون. وخرجها المحدثون فى مدرسة أهل البيت فى تأليفهم بسندهم إلى أرباب الصحابة عن رسول الله ﷺ وآله (٢).

وما ورد بخصوص النوع الثالث:

عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن جبرائيل عليه السلام نزل على محمد ﷺ وآله فقال له: يا محمد، إن الله يبشرك بمولود يولد من فاطمة تقتله أمك من بعدك، فقال: يا جبرائيل، وعلى ربي السلام لا حاجة لي فى مولود يولد من فاطمة تقتله أمي من بعدى، فخرج ثم هبط عليه السلام فقال له مثل ذلك، فقال: يا جبرائيل، وعلى ربي السلام لا حاجة لي فى مولود تقتله أمي من بعدى، فخرج جبرائيل عليه السلام إلى السماء ثم هبط، فقال: يا محمد، إن ربك يقرئك السلام ويبشرك أنه جاعل فى ذريته الإمامة والولاية

(١) فتح البارى ١٣: ١٨٣.

(٢) معالم المدرستين ١: ٥٤١ - ٥٤٦.

والوصية، فقال: قد رضيت، ثم أرسل إلى فاطمة، إن الله بشرنى بمولود يولد لك، تقتله أمي من بعدى، فأرسلت إليه لا حاجة لي فى مولود (منى) تقتله أمك من بعدك، فأرسل إليها أن الله قد جعل فى ذريته الإمامة والولاية والوصية فأرسلت إليه إنى قد رضيت ف ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ اأَشُدَّهُ وَبَلَغَ اأَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ (١) فلو لا أنه قال: أصلح لي فى ذريتي لكانت ذريته كلهم أئمة (٢).
والشيعة تعتقد أن كل إمام نص على الإمام الذى يأتى بعده (٣).

(١) اقتباس من الآية الكريمة: (الأحقاف: ١٥).

(٢) أصول الكافي ١: ٤٦٥.

(٣) أصول الكافي ١: ٢٨٦، كتاب الحجة باب ما نص الله ورسوله على الأئمة، وإثبات الهداة لمحمد بن الحسن الحر العاملى.

الإشارة إلى الأئمة الاثني عشر برواية مدرسة أهل السنة

١- الجويني^(١) عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (أنا سيد النبيين وعلى بن أبي طالب سيد الوصيين، وأن أوصيائي بعدى اثنا عشر أولهم على بن أبي طالب وآخرهم المهدي).

٢- عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: (إن خلفائي وأوصيائي وحجج الله على الخلق بعدى الاثني عشر أولهم أختي وآخرهم ولدي).
قيل: يا رسول الله، ومن أخوك؟
قال: على ابن أبي طالب.
قيل: فمن ولدك؟

قال: (المهدي الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، والذي بعثني بالحق بشيراً ونذيراً لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يخرج

(١) قال الذهبي في ترجمة شيوخه بتذكرة الحفاظ ٥: ١٥٠، الإمام المحدث الأوحى الأمل، فخر الإسلام صدر الدين إبراهيم بن محمد بن حموية الجويني الشافعي شيخ الصوفية وكان شديد الاعتناء بالرواية.

فيه ولدى المهدي فينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلي خلفه وتشرق الأرض بنور ربها ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب).

٣- الجويني - أيضاً- بسنده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (أنا وعلى والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهرون معصومون)^(١).

الخلاصة

خلاصة الأمر عند الشيعة الإمامية: لم يخلق الإنسان عبثاً وإنما خلق لأجل العبادة والهداية. والنبوة تكفلت الإنذار والتبليغ، وأما الإمامة فقد تكفلت هداية الإنسان نحو تحقق الهداية والأخذ بيد الإنسان لتطبيقها خارجاً. ولا يمكن معرفة النبوة إلا بالوحي والمعجزة، ولا تعرف الإمامة إلا بالنص الذي يكشف بدوره عن المعصوم.

والبيعة للإمام صاحب الولاية ليست مثبتة وجوب الطاعة له كإمام منصوص عليه بالولاية، كما أنها لا تثبت إمامته وخلافته.

وأما الشورى فليس بديلاً عن النص أيضاً، كما لا تلزم

(١) الأحاديث: ١ و ٢ و ٣ وردت في فرائد السمطين ٢: ٣١٢.

الإمام المعصوم بقراراتها.

وقد عمل الرسول ﷺ وآله في حياته لترسيخ نظرية النص حيث لم يثبت التاريخ بأن لرسول الله ﷺ وآله عمل يذكر دون النص.

وأما الإمام على عليه السلام فكان عمله ونشاطه ومواقفه مع نظرية النص حيث نجده قد استتكر البدائل الأخرى المعارضة لها.

وأخيراً نجد الأدلة الروائية عند الطائفتين تثبت بأن الخلافة والإمامة لاثني عشر إماماً بنص رسول الله ﷺ وآله، أولهم الإمام على بن أبي طالب وآخرهم الإمام المهدي (عليهم السلام) وبهذا تكون نظرية النص هي الطريق الشرعي الوحيد الذي يحقق العبادة والهداية.

الإمام أبي العزائم والإمامة:

يقول الإمام أبو العزائم في كتابه (النور المبين لعلوم اليقين ونيل السعادتين) ص ١٧٣-١٧٥:

(تعريف الإمامة:

هي عبارة عن خلافة شخص من الأشخاص لرسول الله ﷺ في إقامة الأحكام الشرعية وحفظ حوزة الملة على وجه يجب اتباعه على كافة الأمة. هذا الموضوع يشتمل على مباحث:

المبحث الأول.. في وجوب نصب الإمام:

أوجبته الإمامية والإسماعيلية على الله تعالى، والمعتزلة والزيدية أوجباه علينا عقلاً، وأهل السنة أوجبوه علينا سمعاً، ولم يوجبوه الخوارج مطلقاً.

وأريد أن أذكر بيان وجوبه علينا سمعاً، وعدم وجوبه على الله تعالى:

أما الأول: فلأن نصب الإمام لدفع ضرر لا يندفع إلا به، لأن البلد إذا خلا عن رئيس قاهر يأمر بالطاعات وينهى عن المعاصي ويدراً بأس الظلمة عن المستضعفين استحوذ عليهم الشيطان، وفشى فيهم الفسوق والعصيان وشاع الهرج والمرج، ودفع الضرر عن النفس بقدر الإمكان واجب بإجماع الأنبياء واتفاق العقلاء، فإن قيل: يحتمل مفسد أيضاً إذ ربما يستكف الناس عن طاعته فيزداد الفساد، أو يستولى عليهم فيظلمهم، أو يحتاج لدفع المعارض وتقوية الرياسة إلى مزيد مال فيغتصبه منهم. قلنا: احتمالات مرجوحة، وترك الخير لأجل الشر القليل شر كثير.

وأما الثاني: وهو عدم وجوبه على الله تعالى، فلما بينا فيما سبق من كتبنا أنه لا يجب عليه شيء بل هو الموجب لكل شيء. قال: احتجت الإمامية بأن نصب الإمام لطف، لأنه إذا كان للناس إمام كان حال المكلف إلى قبول

الطاعات والاحتراز عن المعاصي أقرب مما إذا لم يوجد، واللطف على الله واجب قياساً على الممكن.

والجواب بعد تسليم المقدمات الباطلة: إن اللطف الذى ذكرتموه إنما يحصل بوجود إمام قاهر يرجى ثوابه ويخشى عذابه وأنتم لا توجبونه. كيف ولم يتيسر من عهد النبوة إلى أيامنا إمام على ما وصفتموه؟.

صفة الإمام عند من أوجب تنصيبه عقلاً:

قول من أوجب تنصيب الإمام عقلاً فى صفته:

الأولى: أن يكون مجتهداً فى أصول الدين وفروعه ليتمكن من إيراد الدلائل، وحل الشكوك، والحكم والفتوى فى الوقائع.

الثانية: أن يكون ذا رأى وتدبير، يدبر الحرب والقلم وسائر الأمور السياسية.

الثالثة: أن يكون شجاعاً لا يجبن عن قيام بالحرب، ولا يضعف قلبه عن إقامة الحد.

وجمع تساهلوا فى الصفات الثلاثة وقالوا: ينبى من كان موصوفاً بها.

الرابعة: أن يكون عدلاً لأنه متصرف فى رقاب الناس وأموالهم وأبضاعهم.

الخامسة، والسادسة: العقل والبلوغ.

السابعة: الذكورة، فإنهن ناقصات عقل ودين.

الثامنة: الحرية، لأن العبد مستحقر بين الناس، مشتغل بخدمة السيد.

التاسعة: كونه قرشياً خلافاً للخوارج وجمع من المعتزلة لقوله ﷺ: (الأئمة من قریش) (١) واللام فى الجمع للعموم حيث لا عهد فقوله الأئمة للعموم، وقوله ﷺ: (الولاية من قریش ما أطاعوا الله واستقاموا) (٢).

القول فى عصمة الإمام:

قال: ولا يشترط فيهم العصمة خلافاً للإسماعيلية والإثنا عشرية، وينقض مذهبهم صحة إمامة أبى بكر ﷺ. والأمة اجتمعت على كونه غير واجب العصمة ولا أقول أنه غير معصوم. احتج المشرطون للعصمة فى الإمام بأن وجه الحاجة إليه: إما أن المعارف الإلهية لا تعلم إلا منه كما هو مذهب أصحاب التعليم، أو تعليم

(١) أخرجه أحمد فى المسند ٣/١٢٩، ١٨٣، و٤/٤٢١.

(٢) ومن رواية أخرى عن الإمام على كرم الله وجهه: إن رسول الله ﷺ قال: (ألا إن الأمراء من قریش ثلاثة ما أقاموا بثلاث، ما حكموا فعدلوا، وما عاهدوا فوفوا، وما استرحموا فرحموا، فمن لم يقبل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) إرواه أبو يعلى على ما فى مجمع الزوائد ٥/١٩١. وعند أحمد: (استقيموا لقریش ما استقاموا لكم) المسند ٥/٢٧٧.

الواجبات العقلية، أو تقريب الخلق إلى الطاعات كما هو مذهب الإثنا عشرية، وذلك لا يحصل إلا إذا كان الإمام معصوماً. وبأن احتياج الناس إلى الإمام لجواز الخطأ عليهم ولو جاز الخطأ عليه لاحتاج إلى إمام آخر ولقوله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: ١٢٤).

وأجيب عن الأول بمنع المقدمات. وعن الثالث بأن الآية تدل على أن شرط الإمام أن لا يكون مشغولاً بالذنوب التي تنفك بها العدالة لا أن يكون معصوماً أ.هـ.

وقال الإمام أبو العزائم في كتابه (أصول الوصول لمعية الرسول) ص ٣٥-٣٦، عن الخلفاء الأربعة نقلاً عن (قوت القلوب) لأبي طالب المكي:

(ولما سبق في علم الله تعالى، أن يجعل هؤلاء الأربعة خلفاء النبوة بما قدر الله من أعمارهم، فلم يكن يتم ذلك إلا بترتيبهم على ما رتبوا في الخلافة، فكان آخرهم استخلاقاً هو آخرهم موتاً، فدبر خلافتهم على ما علم من آجالهم، ووفى لهم بما وعدهم من استخلافهم في الأرض، كما استخلف الذين من قبلهم من خلائف أنبيائه السوالف، ومكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وبدلهم أمناً بعد خوفهم كما قال الصادق فيما عهد: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بَعْهَدِهِ مَنْ

اللَّهُ﴾ (١). فذلك تأويل قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (٢).

ويقول الإمام أبو العزائم في كتابه (وسائل نيل المجد الإسلامي) ص ١١٦ عن حكم الخلافة:

(والخليفة إنما هو حصن المسلمين ووالدهم، والشريعة لم توجب تعيينه من بيت مخصوص، ولو كان كذلك لتولى الأمر بعد رسول الله ﷺ العباس بن عبد المطلب، أو علي بن أبي طالب، وهما من يعلم المسلمون قرابتهما من رسول الله ﷺ، وتولاه رجل من بنى تيم أمره رسول الله أن يصلى بالناس في حياته، فلما تبين للمسلمين أن رسول الله اختاره لدينهم اختاروه لدنياهم، وهو أبو بكر الصديق ﷺ، فالخليفة مختار الأمة، وأمينها ووليها بعد رسول الله، فالحق في تعيينه للأمة).

عقيدتنا في الأئمة الاثني عشر:

والذي يعتقد آل العزائم أن الأئمة الورثة المجددين اثني عشر إماماً من أهل بيت رسول الله ﷺ وآله،

(١) (التوبة: ١١١).

(٢) (النور: ٥٥).

تعزله، بل تكون بالنص والتعيين من قبل الله ﷻ، كما أن هذه المسألة تمثل المحور الرئيس في مذهب الشيعة، ويدور صراع فكري بينهم وبين أهل السنة بخصوصها.

رأى السادة الصوفية: يرى أهل التصوف أن ثمة فرق بين الخلافة والإمامة من حيث مراتبها، فالخلافة فرع والإمامة أصل.

ويذهب أغلب الصوفية إلى أن مراتب الإمامة ثلاثة: **المرتبة الأولى:** القيادة الاجتماعية لإدارة شؤون الأمة وهي الخلافة الظاهرة التي وقعت على الترتيب المعروف، وكانت بالاختيار والبيعة.

وبالتالي لم يقع من الخلفاء الراشدين ظلم على الإمام على بن أبي طالب، لا سيما وأن سيدنا على عمل في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ، ولم يعارض ولم يطالب بحقه - الشيعة يقولون إنه عارض وطالب - إن كان ثم نص على خلافته الظاهرة.

المرتبة الثانية والثالثة: القيادة العلمية والروحية فيذهب الصوفية إلى أن المرجعية الأساسية في العلم والمعرفة الدينية لأهل البيت، وكذلك القيادة الروحية أو الولاية الكبرى، ويعنون بذلك الخلافة الباطنية، وأولى الناس بعد الرسول ﷺ هو الإمام على كرم الله وجهه، فهو أعلم الصحابة وصاحب الولاية العظمى.

مصدقا للحديث الصحيح الذي أخرجه أبو داود: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها)، وأن أولهم هو الإمام على بن أبي طالب كرم الله وجهه، وخاتمهم هو الإمام المجدد السيد محمد ماضى أبو العزائم الحسنى من جهة والدته والحسينى من جهة والده، وقد صرح بذلك في قوله ﷺ:

أنا آية الآيات في كل الورى

أنا خاتم الوراث من باريه
مع اعتقادنا أن الأئمة الإثنى عشر عند الشيعة الإمامية هم أئمة، لكن ليسوا جميعاً من الأئمة المجددين، بل يوجد منهم ثلاثة فقط ضمن الإثنى عشر إماماً المجددين.

رأى السادة الصوفية

في الوصية بالإمامة:

رأينا فيما سبق بيانه: أجمع أهل السنة على أن الرسول ﷺ لم يوص ولم يستخلف، وترك الأمر شورى بين المسلمين يختارون الأصلح لهم في إدارة شؤونهم السياسية والاجتماعية بضوابط شرعية، بيد أن إخواننا الشيعة يذهبون إلى أن الرسول استخلف الإمام علياً بن أبي طالب وكان ذلك بأمر من ربه، ويؤكدون أن الإمامة من أصول الدين، وليس من حق الأمة أن تختار إمامها أو

يقول الألوسى: (وكثير من الصوفية- قدس الله تعالى أسرارهم- يشير إلى القول بخلافة الإمام على كرم الله وجهه بعد الرسول ﷺ بلا فاصل، إلا أن تلك الخلافة عندهم هي الخلافة الباطنية التي هي خلافة الإرشاد والتربية والإمداد الروحاني لا الخلافة الصورية التي هي عبارة عن إمامة الحدود الظاهرة، وتجهيز الجيوش، والذب عن نهضة الإسلام، ومحاربة أعدائه بالسيف والسنان، فإن تلك عندهم على الترتيب الذي وقع كما هو مذهب أهل السنة، والفرق عندهم بين الخلفتين كالفرق بين القشرة واللُب، فالخلافة الباطنة لب الخلافة الظاهرة، وبها يذب عن حقيقة الإسلام، وبالظاهرة يذب عن صورته، وهي مرتبة القطب في كل عصر، قد تجتمع مع الخلافة الظاهرة كما اجتمعت في على كرم الله تعالى وجهه أيام ظهوره، وهي والنبوة رضيها ثدي) [روح المعاني ج ٤ ص ٦٥].

فالصوفية يرون أن الخلافة شئ والإمامة شئ آخر، وبهذا الفهم السديد يمكن فض الاشتباك بين الشيعة والسنة، خصوصاً وأن النظام الإيراني بعد ثورة الإمام الخوميني يطبق نفس المفهوم الصوفي للإمامة والخلافة كما كانت في صدر الإسلام، حيث كان الخليفة هو أبو بكر أو عمر أو عثمان رضي الله عنهم، وكان الإمام هو على بن أبي

طالب كرم الله وجهه، وإيران جعلت الإمامة بالوصية في أهل البيت (الخوميني- خامنئي) والخلافة بالانتخاب (اختيار الأمة) في رافسنجاني أو خاتمي أو أحمدى نجاد.. والله من وراء القصد، وهو يهدى السبيل.

الفصل الثاني

مصحف الإمام علي (كرم الله وجهه)

المقدمة:

تكاد تتفق كل نصوص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في نهج البلاغة علي أن هذا القرآن الموجود بين أيدينا هو الكتاب الذي أنزله الله على رسوله الأمين سيدنا محمد خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وهو الكتاب الذي تكفل الله بحفظه وتخليده باعتباره الدليل على خلود الرسالة التي أنزل من أجل إثباتها وتثبيتها .

وقد تضمن هدى الله للبشرية والدين التام الذي ارتضاه لعباده ويحتج به على خلقه إلي يوم القيامة .

وقد صرحت كلماته الخالدة عن هذا الكتاب الخالد بأنه يتكلم عن القرآن الموجود بأيدينا، وهو القرآن الذي أنزل علي الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وجمع في عهده عليه السلام، وتداوله المسلمون جيلاً بعد جيل لم ينقص منه حرف أو كلمة.

قال عليه السلام: (واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والمحدث الذي لا يكذب.

وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو

نقصان، زيادة في هدى أو نقصان من عمى.

واعلموا أنه ليس علي أحد بعد القرآن من فاقه، ولا لأحد قبل القرآن من غنى، فاستشفوه من أدوائكم واستعينوا به علي لأوائكم ، فإن فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق والغي والضلال، فاسألوا الله به وتوجهوا إليه بحبه(١).

وهذه النصوص الواردة عنه، حول القرآن الكريم الموجود بأيدي المسلمين في عصره وعصرنا هذا هي التي تفسر قوله عليه السلام : (وإن الكتاب لمعي، ما فارقت مذ صحبتته)(٢).

هذا هو موقف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من كتاب الله الخالد. ولكن أعداء هذا الكتاب الإلهي انتهجوا لتفريق المسلمين سبلاً شتى، منها: اتهام أهل البيت (عليهم السلام) - وهم حملة القرآن وعدله ورعاته والمفسرون لآياته كما أوحى إلي الرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعهم - بأنهم يزعمون أن لديهم سوي هذا القرآن قرآناً يحتفظون

(١) نهج البلاغة ، الخطبة : ١٧٦ ، وراجع أيضاً المعجم الموضوعي

لنهج البلاغة لتقف على مجموعة النصوص الواردة عنه في هذا الشأن.

(٢) نهج البلاغة : الخطبة : ١٢٢.

به (١) زاعمين أن هناك روايات تشير إلى ذلك. ومن هنا - أيضاً للحقيقة التي يعرفها أهل الحق، والتي يحاول الأعداء تغييبها - نعالج هذا الزعم لنصل إلى ما ترشدنا إليه الروايات في هذا المجال، وذلك عبر ملاحظة تأريخ القرآن منذ عصر الرسول ﷺ وحتى عصر الإمام علي السليمان لنقف على حقيقة ما يسمى بمصحف الإمام علي السليمان في هذه النصوص.

لا يمكن البحث في قضية مصحف الإمام علي السليمان إلا بعد معرفة تاريخ جمع القرآن، لأن مصحف الإمام علي السليمان ما هو إلا جمع الإمام علي السليمان للقرآن الكريم وما حوله.

إن ترتيب القرآن وتاريخ جمعه وتنظيم سورته، وتشكيله وتنقيطه وتفصيله إلى أجزاء وأحزاب لم يكن وليد عامل واحد، ولم يكتمل في فترة زمنية قصيرة، فقد مرت عليه أدوار وأطوار ابتدأت بعهد الرسالة، ومرت بدور توحيد المصاحف على عهد عثمان، ثم إلى عهد

(١) وهذا لا يعني أن أصحاب أو الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) ليست لديهم صحف حول القرآن الكريم قد تكون متضمنة لتفسيره وتأويله، أو أسباب نزوله وغير ذلك مما يرتبط بالقرآن الكريم.

الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي أكمل تشكيله على ما هو بأيدينا اليوم.
يري المؤرخون أن تاريخ جمع القرآن قد مر بثلاث مراحل رئيسية:

المرحلة الأولى: عهد النبي ﷺ حيث جمع القرآن كتابة وحفظاً في الصدور وكتب في قرطيس وألواح من الرقاع والعسب (١) واللخاف (٢) والأكتاف (٣). فقد قال زيد ابن ثابت: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف، أي نكتب القرآن في الرقاع (٤).

المرحلة الثانية: عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، وذلك بانتساخه من العسب والرقاع وصدور الرجال (٥).

المرحلة الثالثة: عهد سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث جمع القرآن بين دفتين وحمل الناس علي قراءة واحدة، وكتب منه عدة مصاحف أرسلها إلى الأمصار، وأحرق

(١) العسب : جريد النخل.

(٢) اللخاف: الحجارة الرقيقة.

(٣) الأكتاف : عظم البعير.

(٤) المستدرک ٢: ٦١١ .

(٥) الإتيقان ١: ٢٠٢، ومستدرک الحاكم ٣: ٦٥٦.

باقي المصاحف (١).

فحول المرحلة الأولى:

يذهب بعض علماء الإمامية على أن القرآن الكريم كان مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ، وأنه لم يترك دنياه إلى آخرته إلا بعد أن عارض ما في صدره بما في صدور الحفظة الذين كانوا كثرة، وبما في مصاحف الذين جمعوا القرآن في عهده، وتشير إلى ذلك كثير من الروايات منها قوله ﷺ: (من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه، أدخله الله الجنة وشفعه في عشرة من أهل بيته...) (٢).

وكان رسول الله ﷺ يشرف بنفسه علي ما يكتب، فعن زيد قال: فكنت أدخل عليه بقطعة الكتف أو كسره فأكتب وهو يملئ علي، فإذا فرغت قال: إقرأه، فأقرأه، فإن كان

(١) الإتيان ١: ٢١١.

(٢) مجمع البيان ١: ٨٥، ومناهل العرفان ١: ٢٣٤، ومسنند أحمد ٥: ٣٢٤، ومباحث علوم القرآن: ١٢١، وحياة الصحابة ٣: ٢٦٠، ومستدرک الحاكم ٣: ٣٥٦.

فيه سقط أقامه، ثم أخرج إلى الناس (١).

وروي أن الصحابة كانوا يختمون القرآن من أوله إلى آخره حتى قال ﷺ: (إن لصاحب القرآن عند الله لكل ختم دعوة مستجابة) (٢).

هل جمع رسول الله ﷺ وآله

القرآن بنفسه أم لا؟

لقد كان لدى النبي ﷺ مصحف مجموع، ففي حديث عثمان بن أبي العاص حيث جاء وقد ثقيف إلى النبي ﷺ قال عثمان: فدخلت علي رسول الله ﷺ فسألته مصحفاً كان عنده فأعطانيه (٣). بل وترك رسول الله ﷺ مصحفاً في بيته خلف فراشه مكتوباً في العسب والحريير والأكتاف، وقد أمر علياً عليه السلام بأخذه وجمعه... (٤).

(١) مجمع الزوائد ١: ١٥٢.

(٢) كنز العمال : ١ حديث ٢٢٨٠.

(٣) مجمع الزوائد ٩ : ٣٧١، حياة الصحابة ٣ : ٣٤٤.

(٤) كنز العمال : ٢ حديث ٤٧٩٢.

وحول المرحلة الثانية:

أما المرحلة الثانية من جمع القرآن التي يقال عنها أنها كانت في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه، فالأخبار حول هذا الجمع متضاربة، كما أنها لا ترتبط بما نحن بصددده. أما شبهة أن للإمام علي عليه السلام مصحفاً غير هذا المصحف المتداول بين المسلمين من جهة النص، فهذه شبهة لا دليل عليها ولا أساس لها من الصحة. نعم، تفيد طائفة من أحاديث الشيعة وأهل السنة أن الإمام علياً اعتزل الناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لجمع القرآن الكريم، وكان موقفه هذا بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه قال: لا أرثي حتى أجمعه. وروي أنه لم يرتد إلا للصلاة حتى جمعه^(١).

من أين جاءت تسمية

مصحف الإمام علي عليه السلام؟

لقد كان للإمام مصحف كباقي المصاحف التي

(١) انظر الطبقات الكبرى ٢ : ٣٣٨، أنساب الأشراف ١ : ٥٨٧، شرح ابن أبي الحديد ١ : ٢٧، مناهل العرفان ١ : ٢٠٤، الإتيقان ١ : ٢٠٤، كنز العمال ٢ : ٥٨٨ : ٤٧٩٢.

جمعت فيما بعد مثل: مصحف زيد، ومصحف ابن مسعود، ومصحف أبي بن كعب، ومصحف أبي موسى الأشعري، ومصحف المقداد بن الأسود، كما كان للسيدة عائشة رضي الله عنها أيضاً مصحف.

وكان أهل الكوفة يقرءون علي مصحف عبد الله بن مسعود، وأهل البصرة يقرءون علي مصحف أبي موسى الأشعري، وأهل الشام علي مصحف أبي بن كعب، وأهل دمشق علي مصحف المقداد.

ولكن انتهى دور المصاحف والقراءة فيها علي عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه عندما أرسل عليها وأحرقها^(١). أما مصحف الإمام فقد احتفظ به لنفسه وأهل بيته ولم يظهره لأحد، حفاظاً على وحدة الأمة، على ما سنبينه فيما بعد.

هل مصاحف الصحابة التي سميت بأسماء جامعها تختلف فيما بينها؟ وهل لكل واحد منها خصوصية؟

يرى المؤرخون أن فروقاً من ناحية تقديم السور

(١) صحيح البخاري ٦ : ٢٢٥ - ٢٢٦، المصاحف للسجستاني : ١١ - ١٤، الكامل في التاريخ ٣ : ٥٥، البرهان ١ : ٢٣٩ - ٢٤٣.

بدء خلافة أبي بكر قعد على بن أبي طالب في بيته يجمع القرآن. قال: قلت لعكرمة: هل كان تأليف غيره كما أنزل الأول فالأول؟ قال: لو اجتمعت الإنس والجن علي أن يألفوه هذا التأليف ما استطاعوه.

قال ابن سيرين: تطلبت ذلك الكتاب وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه^(١).

ما هو امتياز مصحف الإمام علي عليه السلام عن بقية المصاحف؟

وإذا ما ثبت أن هناك مصحفاً للإمام علي عليه السلام قد جمعه بعد وفاة الرسول ﷺ، فما هي صفات ذلك المصحف؟ وهل يختلف عن غيره من المصاحف الأخرى التي جمعت بعد مصحفه؟ قالوا: إن الفرق بين مصحف الإمام علي عليه السلام والمصاحف الأخرى التي اختلفت فيما بينها أيضاً، هو أن الإمام علي عليه السلام رتبته على ما نزل، كما اشتمل على شروح وتفسير لمواضع من الآيات

(١) الإتيان ١: ٥٧، وراجع الطبقات ٢: ١٠١، الاستيعاب بهامش الإصباة ٢: ٢٥٣، التسهيل لعلوم التنزيل ١: ٤، بحار الأنوار ٩٢: ٨٨ ح ٢٧، آلاء الرحمن ١: ١٨.

وتأخيرها تكتنف تلك المصاحف، فمثلاً مصحف ابن مسعود نجده مؤلفاً بتقديم السبع الطوال، ثم المئتين، ثم المثاني، ثم الحواميم، ثم الممتحنات، ثم المفصلات. أما مصحف أبي بن كعب نجده قد قدم الأنفال وجعلها بعد سورة يونس وقبل البراءة، وقدم سورة مريم والشعراء والحج على سورة يوسف^(١).

متى جمع الإمام علي عليه السلام مصحفه؟

إن أول من تصدى لجمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، وبوصية منه^(٢) هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قعد في بيته مشغلاً بجمع القرآن وترتيبه على ما نزل.

قال ابن النديم - بسند يذكره -: أن علياً عليه السلام رأى من الناس طيرة عند وفاة النبي ﷺ، فأقسم أن لا يضع رداءه حتى يجمع القرآن^(٣).

وروى محمد بن سيرين عن عكرمة، قال: لما كان

(١) التمهيد لمحمد هادي المعرفة ١: ٣١٢.

(٢) راجع تفسير القمي: ٧٤٥، بحار الأنوار ٩٢: ٤٨ ح ٥.

(٣) المناقب ٢: ٤٠.

مع بيان أسباب ومواقع النزول. قال عليه السلام: (ما نزلت آية على رسول الله ﷺ إلا أقرأنيها وأملاها عليّ، فأكتبها بخطي. وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها. ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علماً أملاه عليّ فكتبتُه منذ دعا لي ما دعا)^(١).

كما اشتمل على جملة من علوم القرآن الكريم، مثل: المحكم والمتشابه، والمنسوخ والناسخ، وتفسير الآيات وتأويلها^(٢).

هل عرض الإمام عليه السلام مصحفه على الناس؟

نعم، بعد أن جمعه جاء به إلى الناس وقال: إنني لم أزل منذ قبض رسول الله ﷺ مشغولاً بغسله وتجهيزه ثم بالقرآن حتى جمعته كله، ولم ينزل الله على نبيّ آية من

(١) تفسير البرهان ١: ١٦ ح ١٤.

(٢) راجع الإرشاد والرسالة السروية للمفيد، وأعيان الشيعة ١: ٨٩، وتاريخ القرآن للأبياري ٨٥. حقائق هامة حول القرآن الكريم: ١٥٣-١٥٨.

القرآن إلا وقد جمعتها^(١). وعرض الإمام مصحفه على الناس وأوضح مميزاته، فقام إليه رجل من كبار القوم فنظر فيه، فقال: يا علي أردده فلا حاجة لنا فيه^(٢).

قال الإمام على عليه السلام: (أما والله ما ترونه بعد يومكم هذا أبداً، إنما كان عليّ أن أخبركم حين جمعته لتقرأوه)^(٣).

لماذا لم يخرج الإمام مصحفه في زمن الخليفة عثمان؟

خلال عهد سيدنا عثمان رضي الله عنه اختلفت المصاحف، وأثيرت الضجة بين المسلمين، فسأل طلحة الإمام علياً عليه السلام لو يخرج للناس مصحفه الذي جمعه بعد وفاة الرسول ﷺ قال: وما يمنعك - يرحمك الله - أن تخرج كتاب الله للناس؟! فكف عليه السلام عن الجواب أولاً، فكرر طلحة السؤال، فقال: لا أراك يا أبا الحسن أجبتي عما سألتك من أمر القرآن، ألا تظهره للناس؟

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٨٢.

(٢) كتاب سليم بن قيس: ٧٢، المناقب ١: ٤٠-٤١، الاحتجاج للطبرسي: ٨٢، وبحار الأنوار ٩٢: ٥١ ح ١٨.

(٣) تفسير الصافي ١: ٣٦.

المصحف بقوله: (فلو أصبت ذلك الكتاب كان فيه علم) (١).

إذن تتلخص قصة مصحف الإمام علي عليه السلام بما يلي:

يقول الشيعة الإمامية: إن الإمام عليه السلام جمع القرآن بعد وفاة رسول الله ﷺ وآله، وكانت سوره وآياته هي آيات وسور القرآن المتداول بين المسلمين اليوم، وكان متضمناً ترتيب السور حسب النزول، وإلى جانبها أسباب النزول، إلا أن موقف بعض الصحابة من مصحفه كان موقفاً سياسياً.

ومن هنا فالأحرى أن نعتبره نسخة أخرى من القرآن الكريم متضمنة لسوره وآياته، وليس هو قرآن آخر سوى القرآن الكريم.

وجاء الخصوم بعد ذلك ليقولوا: إن الشيعة تدعى أن للإمام علي عليه السلام مصحفاً غير المصحف المتداول بين المسلمين ظلماً ورغبة في تفريق صف الأمة المسلمة (٢).

وأوضح الإمام عليه السلام سبب كفه عن الجواب لطلحة مخافة أن تتمزق وحدة الأمة، حيث قال: يا طلحة عمداً كفتت عن جوابك فأخبرني عما كتبه القوم؟ أقرآن كله أم فيه ما ليس بقرآن؟ قال طلحة: بل قرآن كله. قال عليه السلام: إن أخذتم بما فيه نجوتم من النار ودخلتم الجنة... (١).

مصير مصحف الإمام علي عليه السلام:

تفيد الروايات بأن المصحف قد سلمه الإمام علي عليه السلام للأئمة من بعده وهم يتداولونه الواحد بعد الآخر لا يرونه لأحد (٢).

كما لم يعد خبر المصحف والحديث عنه خافياً على العلماء الباقيين. ذكر ابن النديم أنه أول مصحف جمع فيه القرآن، وكان هذا المصحف عند آل جعفر، وفي قول آخر يتوارثه بنو الحسن (٣).

ثم تابع ابن سيرين مصير المصحف في المدينة المنورة فلم يفلح علي حصوله، وقد صرح بخصوصية

(١) سليم بن قيس : ١١٠، وعنه في بحار الأنوار ٩٢: ٤٢ ح ١.

(٢) بحار الأنوار ٩٢: ٤٢ ح ١.

(٣) الفهرست لابن النديم : ٤٧ - ٤٨.

(١) الطبقات ٢: ١٠١ وعنه في الإتيان ١: ٥٧.

(٢) لاحظ: الشيعة والسنة لإحسان الهي ظهير : ٨٨ وغيره ممن سار

على نهجه.